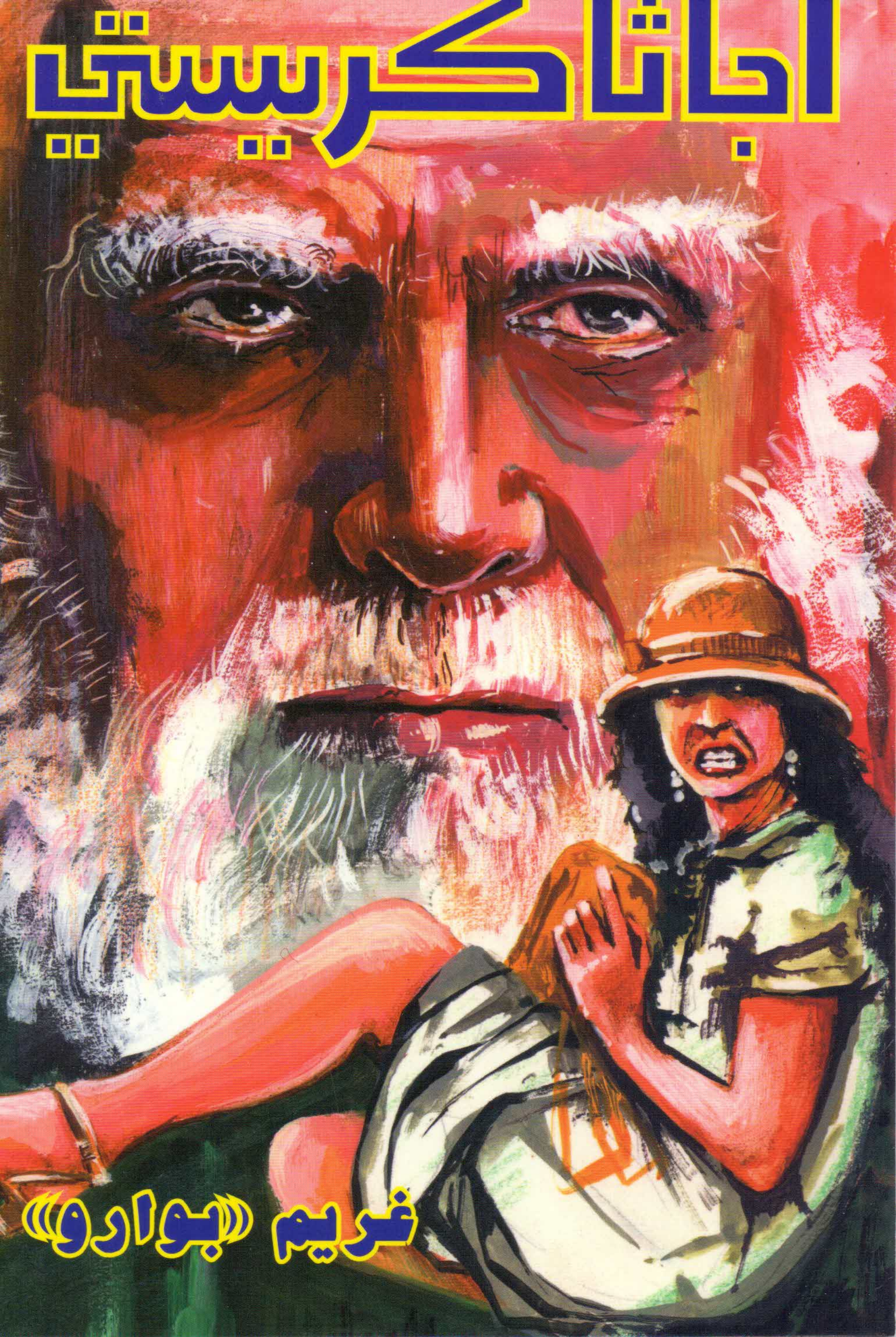
اجاثا كريستي



غريم «بوارو»

أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. وروایاتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

غريم «بوارو»

The A.B.C. Murders

لقد تحدَّى هذا القاتل «بوارو» ووضعه في موقف حرج للغاية... ارتكب أربع جرائم قتل متتالية. وفي كل مرة كان يرسل إلى «بوارو» بمكان ارتكاب الجريمة القادمة... وكان تحديا رهيبًا... فكيف واجهه «بوارو»؟؟

هذا ما ستعرفه خلال مطالعتك لهذه الرواية.

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	150 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	3 دينار	مصر	10 جنيهات
الجزائر	300 دينار	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	3 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	العراق	4000 دينار

ISBN 995338331-6

9789953383316

غريم "بوارو"

- 3 -
بونارد الأسطه
يقدّم
الرواية المعرّبة

غريم بوارو
(92)

تاليف الكاتبة والأديبة العالمية
أجاثا كريستي

تعريب الأديب
عمر عبد العزيز أمين

الناشر
دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع
تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00
ص.ب 374 جونيه – لبنان
www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع
المركز الدولي – دار البشير

تأليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للرواية

The A.B.C. Murders

(1936)

الغلاف بريشة الفنان

فرج حسن

- 1 -

هزَّ "**بوارو**" كتفيه، وقطب جبينه مفكرا، وأومأ برأسه كأنما استقر على شيء، ثم نهض وتناول من خزانة محفوظاته خطابا مفتوحا، وتقدم به نحوي في تردد، ثم قال وهو يسلمه إليّ:

– اقرأ هذا الخطاب يا عزيزي "**هاستنجز**"، وأخبرني برأيك فيه...

فتناولت الرسالة من يده، ووجدت أنها مكتوبة على الآلة الكاتبة وعلى ورق رسائل سميك، وقرأت فيها ما يلي:

السيد "**هركيول بوارو**"...

«إنك تظن نفسك عبقريا في الكشف عن غموض الجرائم المعقدة التي يعجز عن كشفها رجال المباحث الإنجليز الأغبياء... حسنًا أيها العبقري "**بوارو**"، دعنا نر إلى أي حد تبلغ مهارتك... ولعلك ستجد أن هذه الجريمة أعقد من أن تستطيع حلها، لننظر ما سوف يحدث في بلدة "**أندوفو**" في اليوم الحادي والعشرين من هذا الشهر...»

المخلص "**أ . ب . س**"

ونظرت إلى الظرف الذي كان مكتوبا على الآلة الكاتبة أيضًا، فوجدت أنه أرسل من مكتب بريد غرب "**لندن**" وبعد فترة صمت قال "**بوارو**":

– ما رأيك؟ فهززت كتفي، وأعدت الرسالة إليه قائلاً:

– أعتقد أن كاتبها رجل مخبول، أو رجل أسرف في الشراب حتى فقد صوابه!

– كل هذا محتمل. ولكنني غير مطمئن في الوقت نفسه.

– هل عرضت هذه الرسالة على رجال الشرطة؟

– أجل. عرضتها على المفتش "**جاب**"، فقال – كما قلت أنت تماما – إنها دعابة ثقيلة من رجل سكير أو مجنون وأكد لي أن إدارة "**اسكتلانديارد**" تتلقى كل يوم العشرات من هذا النوع من الرسائل.

– إذن فلماذا تهتم بأمرها كل هذا الاهتمام؟

– لأن فيها يا "**هاستنجز**" شيئا يقلقني. فقلت وأنا أراه يعيدها إلى مكانها:

– إذا كان الأمر كما تقول، أفلا تستطيع أن تفعل شيئًا؟

– آه، إنك دائما هكذا! ولكن ماذا في وسعي أن أفعل؟ إن رجال المباحث لا يهتمون بالأمر، وليس على الرسالة بصمات أصابع وليس هناك أي دليل يشير إلى كاتبها.

– ليس هناك في الواقع إلا شعورك الخاص.

– لعلي أقيم من الحبة قبة. وأيًّا كان الأمر، فليس أمامنا إلا الانتظار.

– أجل: وإن الحادي والعشرين من هذا الشهر يوافق يوم الجمعة، فإذا وقع حادث سرقة بالقرب من "**أندوفر**" مثلا....

فقاطعني قائلاً بسرعة:

– عندئذ أتنهد بارتياح.

– تتنهد بارتياح؟!

– نعم، لأن الذي يخيفني أن يكون الأمر أخطر جدًّا من مجرد حادث سرقة.

– مثل ماذا؟ جريمة قتل.

- 2 -

نهض السيد "**ألكسندر بونابرت سوست**" من مقعده، وحملق بنظره القصير فيما حوله، في غرفة نومه البالية. وكان ظهره متصلبا بسبب جلسته غير المريحة، ومن ثم راح يتمطى، ويشب على قدميه، بحيث لو رآه أحد في تلك اللحظة، لحسبه رجلا طويلا جداً. ومضى إلى معطفه القديم المعلق وراء الباب، وتناول من جيبه علبة سجائر رخيصة وبعض أعواد الثقاب، وأشعل لنفسه سيجارة ثم عاد إلى المائدة التي كان جالسا إليها وتناول دليلا للسكك الحديدية، وراح يبحث فيه عن شيء معين، ثم تأمل قائمة بعدد كبير من الأسماء المكتوبة على الآلة الكاتبة، ومد يده ببطء ووضع علامة بالقلم على الاسم الأول. وكان ذلك في يوم الخميس، العشرين من شهر حزيران (يونيو).

- 3 -

كنت قد نسيت في خضم شواغلي أمر تلك الرسالة، ولم أتذكرها– في الواقع– مرة أخرى إلا في اليوم الثاني والعشرين من الشهر، عندما أقبل مفتش المباحث "**جاب**" إلى مسكن صديقي "**بوارو**".. ولما رآني صافحني بحرارة وشوق؛ لأننا كنا صديقين قديمين، وصاح:

– هل سمعت يا نقيب "**هاستنجز**" عن الرسالة الغامضة التي تلقاها السيد "**بوارو**"؟ فقال "**بوارو**":

– لقد أطلعت "هاستنجز" عليها منذ بضعة أيام. فهتفت قائلا:

– أجل.. أجل.. لقد نسيت أمرها، ماذا كان التاريخ المذكور فيها؟

– الحادي والعشرون. وهذا ما دفعني إلى الحضور، فقد كان أمس الحادي والعشرون من الشهر، وبدافع من الفضول فقط اتصلت أمس تليفونيا بمركز شرطة "أندوفر" فقيل لي: إنه لم يحدث أكثر من مشاجرة بين أحد السكارى وزميل له، وإصابة طفلة بحجر قذفه عليها طفل في مثل سنها. ومن ثم اعتقدت أن السيد "بوارو" لم يكن موفقا في هواجسه هذه المرة. فاعترف "بوارو" قائلاً:

– إنني قد استرحت الآن... حمدا لله.

– كنت شديد الجزع بسبب هذه الرسالة، أليس كذلك؟ إننا نتلقى العشرات أمثالها كل يوم. ويبدو أن هناك طائفة من الناس تهوى كتابة هذا النوع من الرسائل لأسباب مختلفة.

– الواقع أنني أوليت هذه الرسالة من الاهتمام أكثر مما تستحق.

– حسنًا.. حسنًا.. لا عليك، لقد حضرت لزيارتك اليوم؛ لأطمئنك من جهة، ولأني كنت أقوم بالتحقيق في حادث سرقة جواهر في الشارع المجاور. طاب يومكما. ولكن لم يمضِ على انصرافه نصف الساعة حتى دق جرس التليفون فتناول "بوارو" السماعة وقال:

– أجل، أنا "بوارو"... "هركيول بوارو". وصمت هنيهة ينصت، ثم اربدّ وجهه وهو يقول هذه العبارات على التوالي:

– نعم، نعم.

– آكيد.

- أكيد... أكيد سوف أحضر.

- أجل... ربما كان الأمر كما تقول.

- سآتي بها معي. وأعاد السماعة وقال يحدثني:

- إنه المفتش "جاب" يا "هاستنجز".

- ماذا يريد؟

- قال: إنه عقب وصوله إلى إدارة "اسكتلانديارد"، وجد في انتظاره رسالة من "أندوفر".

- "أندوفر"؟!

- أجل... وجاء في الرسالة أن امرأة عجوزا تدعى السيدة "آسكر" وُجدت مقتولة في حانوتها الصغير الذي تبيع فيه التبغ والسجائر، ويعتقد رجال الشرطة في "أندوفر" أن في مقدورهم وضع أيديهم على الفاعل؛ إذ يبدو أن المرأة كانت على خلاف مع زوجها الذي أدمن الشراب وأصبح عاطلا، وقد سمعه الكثيرون وهو يهددها بالقتل. وصمت "بوارو" هنيهة قبل أن يستأنف الحديث قائلاً:

- ومع هذا كله، فإن رجال المباحث في إدارة "اسكتلانديارد" يريدون أن يعيدوا النظر في الرسالة الغامضة التي تلقيتها، وقد وعدتهم بأننا سنحضر إلى "أندوفر". وأحسست بالانفعال المثير مرة أخرى، وخامرني ذاك الشعور القديم، شعور كلب الصيد، وهو يتأهب للانطلاق وراء الثعلب المراوغ. كان "بوارو" لا يزال يتحدث، ولكنني لم أسمع شيئًا مما قال. واستقبلنا في "أندوفر" المفتش "جلين" وكان رجلا طويلا، أشقر الشعر، لطيف الابتسامة. وقال يوضح الموقف:

– اكتشف أمر الجريمة الكونستابل "**دوفر**" في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، أي في أول ساعة من صباح اليوم الثاني والعشرين من الشهر، وكان يقوم بدوريته الليلية عندما لاحظ أن باب حانوت السيدة "**آسكر**" غير مغلق، فدخل وظن في أول الأمر أنه لا يوجد به أحد. وبينما هو يسلط كشافه الكهربي على ما وراء منصة البيع رأى جسم امرأة مكوما، ولما حضر طبيب الصحة قال إن المرأة العجوز التي ثبت أنها السيدة "**آسكر**" – نفسها – ماتت بضربة عنيفة أصابت مؤخر رأسها، ومن المحتمل أن تكون الضربة هوت في أثناء استدارتها لإحضار علبة السجائر من فوق أحد الرفوف، وقال الطبيب إن الوفاة حدثت منذ سبع إلى تسع ساعات قبل اكتشاف الحادث.

ولكننا استطعنا أن نحدد الوقت بأقل من هذا؛ لأننا عثرنا على رجل اعترف أنه اشترى علبة تبغ من السيدة "**آسكر**" في الساعة الخامسة والنصف من مساء الحادي والعشرين، وقال آخر إنه ذهب لشراء علبة سجائر فوجد الحانوت خاليا – كما ظن – في الساعة السادسة وخمس دقائق، ولم نعثر بعد على أي شخص يشهد أنه رأى زوجها السيد "**آسكر**" بالقرب من حانوتها في ذلك الوقت المحدد، ولكن قيل لنا: إنه كان في مشرب "**ثري كراونز**" فاقد الوعي من تأثير الشراب منذ الساعة التاسعة من مساء أمس، وعندما يتم القبض عليه سوف يحتجز رهن التحقيق. فقال "**بوارو**":

– إنه كما سمعت شخصية فاسدة.

– أجل.

- هل كان يعيش مع زوجته؟

- لا، لقد انفصلا منذ بضعة أعوام، و"آسكر" ألماني الجنسية، وكان في يوم ما يعمل جرسونا، ثم أدمن الشراب وأصبح تدريجًا غير صالح لأي عمل، واشتغلت زوجته بالخدمة في البيوت حينا إلى أن ادخرت مبلغا من المال استطاعت به أن تنشئ متجرا لبيع التبغ والحلوى والصحف، وكان دخلها من هذا المتجر يتيح لها حياة الكفاف، ولكن زوجها ظل يثقل عليها بطلباته حتى اتفقت معه على إعطائه خمسة عشر شلنا كل أسبوع؛ اتقاءً لشره.

- هل لديهما أبناء؟

- لا، ولكن للمجني عليها ابنة أخت تشتغل مديرة بيت في بلدة "أوفرتون"، وهي فتاة ناضجة كريمة الأخلاق.

- وذلك الرجل المدعو "آسكر" هل كان يهدد زوجته دائما؟

- أجل. وكان إذا سكر يصبح وحشا بذيء اللسان، وكثيرا ما هددها بتحطيم رأسها.

- وكم كان عمر المجني عليها؟

- كانت في نحو الستين، وكانت سيدة محترمة، مكافحة.

- ألم يسرق شيء من الحانوت؟

- لم يسرق شيء؛ فإن النقود ظلت كما هي في الدرج، ولا يبدو أن هناك شيئا سرق.

- إذن فأنت تعتقد أن "آسكر" ذهب - وهو مخمور - إلى حانوت زوجته ثم تشاجر معها، وضربها بشيء ثقيل على رأسها؟!

– هذا ما يبدو لنا حتى الآن.. ولكننا نريد أن نلقي نظرة على الرسالة الغامضة التي جاءتك.

وبعد أن قرأ المفتش الرسالة، قطب جبينه وقال:

– لا يلوح أن "آسكر" هو كاتبها؛ لأن يد الرجل أصبحت الآن ترتعد بشدة؛ بسبب إدمانه الشراب، وهذه الرسالة مكتوبة بيد ثابتة وبخط واضح، كما أن الورق والمداد من نوعين ممتازين بعيدين عن متناول رجل في مثل ظروف "آسكر"؛ ولهذا أرى أن الأمر مجرد مصادفة.

وصمت هنيهة قبل أن يقطب جبينه مرة أخرى، وأردف قائلاً:

– "أ. ب. س"! من يكون هذا الشيطان "أ. ب. س"؟ لسوف نحاول أن نعرف رأي "ماري دراور" – ابنة أختها– في هذا الموضوع ولولا هذه الرسالة لراهنت بكل شلن معي أن "آسكر" هو الجاني.

– ألديكم أية معلومات عن تاريخ المجني عليها؟

– إنها امرأة من إقليم "هامشاير"، ذهبت للخدمة في المنازل منذ كانت فتاة، في مدينة "لندن". وهناك تقابلت مع "آسكر" وتزوجته، وفي عام 1945 انفصلت عنه نهائيا دون طلاق، وعادت إلى هذه البلدة؛ لتبقى في منأى عنه، ولكنه تبعها إلى هنا وراح يبتز مالها. وهنا حضر أحد الكونستبلات، فقال له المفتش:

– حسنًا يا "بريجزا"؟

– لقد أحضرنا المدعو "آسكر".

– أدخله فورا. أين كان؟

– كان مختفيا في مركبة سكة حديد مهجورة.

– حسنا.. أدخله فورا. وكان "**فرانز آسكر**" الألماني الأصل والإنجليزي الجنسية نموذجا يائسا من الجنس البشري، وكان يثرثر ويدمدم قائلاً وهو يحملق إلى وجوهنا بنظرات ملؤها الخوف والاحتجاج:

– ماذا تريدون مني؟ إنني لم أفعل شيئًا... إنكم تظلمونني... كل إنسان في هذه الدنيا يظلمني، إنني مسكين، دعوني وشأني. وشرع يبكي، فقال له المفتش:

– تمالك نفسك يا "**آسكر**".. إننا لم نوجه إليك أي اتهام، ولم يجبرك أحد أن تقول شيئًا رغمًا عنك.

– ولكنني لم أقتلها. لم أقتلها. دعوني وشأني.

– لقد هددتها كثيرا بالقتل يا "**آسكر**". أليس كذلك؟

– بلى.. بلى.. كنت أمزح معها فقط.

– نوع لطيف من المزاح. أليس كذلك؟ حسنا.

– أين كنت بعد غروب يوم أمس يا "**آسكر**"؟

– إنني لم أقترب من حانوتها، لقد كنت أمس بعد الظهر حتى ساعة متأخرة من الليل مع أصحاب محترمين، ذهبنا أولاً إلى مشرب "**سفن ستارز**" ثم إلى مشرب "**رودوج**" وكان معنا "**دولتا ويلوز**" و"**كرودي**" الهرم، و"**جورج وبلات**" وغيرهم. إنني لم أقترب منها أمس. ولما بدأ يصرخ – وهو في حالة انهيار عصبي – أمر المفتش بنقله إلى غرفة الحجز على ذمة التحقيق، ثم قال "**بوارو**":

– ما رأيك في هؤلاء الشهود؟

– إنهم جميعا من مدمني الشراب، ويتوقف الأمر الآن على أن يكون

هناك شهود آخرون قد رأوه بالقرب من الحانوت بعد ظهر أمس.

– ألم يكن هناك في مكان الجريمة شيء؟ أعني شيئا غريبا في وضعه أو شكله أو مثيرا للانتباه؟ ففكر المفتش هنيهة، ثم قال:

– كان هناك دليل سكة حديد.

– دليل سكة حديد؟!

– أجل، وكان مفتوحا ومقلوبا على منضدة البيع، وكأنما كان ثمة شخص يبحث فيه عن مواعيد القطارات التي تمر بمحطة "أندوفر".

– وهل كانت السيدة "آسكر" تبيع هذا النوع من الكتب؟ فهز المفتش رأسه، وقال:

– كانت تبيع جداول سفر صغيرة، لا يزيد ثمن الواحد منها على بضعة بنسات، أما هذا الدليل فهو من الحجم الكبير الذي لا يباع إلا في المكتبات الكبيرة. وهنا ومضت عينا "بوارو"، وقال بلهفة :

– أتقول دليل سكة حديد؟ أهو دليل "برادشو" أو "أ. ب. س"!

وهتف المفتش قائلا:

– بحق السماء! إنه من هذا النوع الذي يقوم على الأحرف الهجائية.

- 4 -

تضاعف اهتمامي بالحادث عند ذكر دليل "برادشو" السياحي القائم على تسجيل أسماء المحطات بالترتيب الأبجدي، وكان اهتمامي قبل ذلك لا يعدو اهتمام أي شخص غريب بمقتل امرأة عجوز فقيرة في بلدة نائية.

إنها جريمة من النوع الذي تنشره الصحف في أصغر أركانها، وبأصغر حروف طباعتها، وكنت أعتقد في قرارة نفسي أن السيدة "**آسكر**" ذهبت ضحية زوجها السكير، وأنه لا شأن للرسالة الغامضة بهذه الجريمة، أما بعد أن سمعت بأمر هذا الدليل الأبجدي للسكة الحديد، فقد اتخذت الجريمة في رأيي وجهة أخرى خطيرة. فمن ذلك الشخص الخفي الذي قتل السيدة "**آسكر**"، وترك وراءه الدليل الأبجدي لمحطات السكة الحديد؟ وبعد أن غادرنا مركز الشرطة في "**أندوفر**" ذهبنا إلى المشرحة، حيث رأينا المجني عليها، جثة هامدة، بشعرها الأشيب، والإصابة القاتلة في رأسها، ثم التقينا بالدكتور "كار" الذي قال: إنه يرجح أن المجني عليها كانت قد استدارت بظهرها للقاتل؛ لكي تأتي إليه بشيء، فأهوى على مؤخر رأسها، فتكومت على نفسها وراء منضدة البيع، ومن ثم بدا الحانوت لعابر السبيل وكأنه خال تماما، وقال لي "**بوارو**" بعد انصرافنا:

– أترى يا عزيزي "**هاستنجز**". هذه نقطة جديدة في جانب براءة "**آسكر**"، فلو أنه هو الذي ذهب إلى زوجته يسبها ويهددها، لوقفت أمامه تواجهه... ولكنها كانت عند الوفاة مستديرة بظهرها إلى القاتل الذي جاء ولا شك متظاهرا بأنه يريد شراء شيء، ثم أردف قائلاً، وهو ينظر في ساعة يده:

– أعتقد أن "**أوفرتون**" ليست بعيدة عن هنا، ما رأيك في أن تسرع إليها الآن وتقابل ابنة أخت المجني عليها؟ وبعد لحظات قليلة، كنا نندفع بالسيارة في طريق "**لندن**" متجهين نحو بلدة "**أوفرتون**"، وكان العنوان الذي أعطاه لنا المفتش ينطبق على بيت كبير، فدقَّ "**بوارو**" جرس الباب

فاستجابت لرنين الجرس فتاة شابة في ملابس سوداء، جميلة الوجه، متورمة العينين من فرط البكاء. قال لها "**بوارو**" برفق:

– آه أعتقد أنك الآنسة "**ماري دراور**"؟!

– أجل يا سيدي، إنني هي.

– هل أستطيع أن أتحدث إليك بضع دقائق بعد إذن سيدتك؟ إن الموضوع يتعلق بمقتل خالتك، السيدة "**آسكر**".

– إن سيدتي في الخارج يا سيدي، فتفضل بالدخول.

ثم فتحت بابا لغرفة استقبال صغيرة، وبعد أن جلسنا بجوار النافذة، رمق "**بوارو**" الفتاة بإمعان، ثم قال:

– لقد سمعت – ولا شك – بما حدث لخالتك؟ فأومأت الفتاة برأسها، وقالت والدموع تنساب من عينيها:

– علمت في هذا الصباح يا سيدي عندما جاء أحد رجال الشرطة وأخبرني بالحادث. آه! إن الأمر فظيع، يالخالتي المسكينة!

– ألم يعرض عليك رجل الشرطة الذهاب إلى "**أندوفر**"؟

– قال: إنني يجب أن أحضر جلسة التحقيق التي ستعقد يوم الاثنين التالي.. أما الآن فكيف أذهب؟ وأين أقيم هناك؟ إنني لا أطيق الإقامة في غرفة خالتي التي تقع وراء الحانوت، خصوصًا وأن زميلتي في العمل هنا غائبة عند أهلها، وأعتقد أنه لا يجوز أن أترك سيدتي بمفردها في مثل هذه الظروف.

– هل كنت تحبين خالتك؟

– جدًّا يا سيدي، لقد كانت شديدة العطف عليَّ دائمًا منذ وفاة أمي.

وقد بدأت أعمل بالخدمة في البيوت منذ كنت في السادسة عشرة من عمري، ولكنني كنت حريصة على قضاء يوم عطلتي الأسبوعية لديها، وكان ذلك الألماني اللعين سببا في شقائها، إنه لم يتركها تنعم يوما بالراحة والهدوء.

– ألم تفكر خالتك يوما في طلب الطلاق منه؟

– نعم يا سيدي.. إن خالتي لم تكن من النوع الذي يبرر الطلاق لأي سبب.

– وهل سمعته يهددها يا "ماري"؟

– نعم... كثيراً... وما أفظع ما كان يقوله لها! كان يقول إنه سيذبحها يوما، وسيحرقها يوما، وسيدق عنقها، كان لا يكف عن السباب بالإنجليزية والألمانية، ومع ذلك كانت خالتي تقول: إنه كان في شبابه رجلا لطيفا جميلا مهذبا.

– إذن فأنت لم تدهشي كثيرا حين سمعت بمصرع خالتك واتهام رجال الشرطة إياه بأنه هو القاتل؟

– على العكس يا سيدي... لقد دهشت جداً؛ لأنه لم يخطر ببالي قط أن مثل هذا الرجل الهرم السكير المهدم يستطيع أن يقتل نفسا بشرية... بل أكثر من هذا إنني كنت أراه يتراجع عنها كالكلب المذعور عندما تستدير إليه وتبدأ في معاملته بالمثل.. أجل... لقد كان يخشاها!

– ومع ذلك كانت تعطيه مالا؟

– أكيد يا سيدي... ألم يكن زوجها؟

– بلى.. بلى.. ثم أردف "بوارو" بعد لحظة صمت:

– لنفرض أنه ليس قاتلها. فحملقت إلى وجهه بدهشة وتمتمت:

– ليس قاتلها؟!

– أجل، لنفترض أن الذي قتلها شخص آخر، فهل لديك أية فكرة عمن يمكن أن يكون قاتلها؟

– لا يا سيدي، مطلقا، إن هذا غير محتمل، فمن هذا الذي يسعى إلى قتل امرأة عجوز مسالمة مثل خالتي؟!

– ألم تسمعيها تذكر اسم أي شخص غاضب منها، أو ساخط عليها؟

– أبداً أبداً يا سيدي.

– ألم تستلم قط رسائل بتوقيعات أشخاص مجهولين؟

– لا أظن يا سيدي.

– هل كانت خالتك تدخر مالا ؟

– كانت تدخر في بنك التوفير مبلغا ضئيلا، يكفي لتغطية نفقات جنازتها، أما فيما عدا ذلك فقد كانت تجاهد حتى تقيم أودها... فضلا عن المبالغ التي كان ذلك الشيطان يبتزها منها.

فأومأ "بوارو" برأسه، ثم نهض، وهو يقول:

– إذا احتجنا إليك في أي وقت يا "ماري"، فهل نكتب إليك في هذا العنوان؟

– الواقع أنني لن أمكث هنا طويلا... لقد آثرت العمل في هذه البلدة؛ لأكون قريبة من خالتي. ثم طفرت الدموع من عينيها، وهي تردف قائلة:

– أما وقد ماتت، فأعتقد أن مكان العمل الملائم لفتاة مثلي هو مدينة "لندن".

- أرجو عندما ترحلين إلى "**لندن**"، أن ترسلي إليَّ بعنوانك الجديد. وهذه هي بطاقتي. فقالت بعد أن نظرت في البطاقة:

- إذن فأنت لست من رجال الشرطة يا سيدي؟

- أنا أعمل لحسابي الخاص. فوقفت ونظرت إليه هنيهة، ثم قالت بصوت خافت:

- هل ثمة شيء خاص في هذه الجريمة يا سيدي؟

- أجل يا بنتي، وسوف تعرفين كل شيء في حينه، ونرجو أن تبذلي جهدك في مساعدتنا إذا احتجنا إليك.

- هذا ما أرجوه يا سيدي. وبعد لحظات، كنا في طريق العودة إلى "**أندوفر**"، كان مسرح الجريمة في شارع جانبي يتفرع من الشارع العام بالبلدة، وكان حانوت السيدة "**آسكر**" يقع في منتصف هذا الشارع الجانبي، في الجهة اليمنى، ورأيت "**بوارو**" ينظر في ساعته، وأدركت لماذا أرجأ زيارة مسرح الجريمة حتى هذا الوقت. لقد أراد أن يصل في الفترة نفسها المماثلة للفترة التي وقع فيها الحادث، أي في الساعة الخامسة والنصف مساءً. كان الحانوت صغيرا حقير المظهر، مغلقا، وقد وقف أمامه أحد رجال الشرطة، ووقف "**بوارو**" برهة ينظر إلى اللافتة الحقيرة التي تحمل اسم "**آسكر**"، ثم قال لي فجأة:

- هلم ندخل هذا الدكان يا "**هاستنجز**". وشققنا طريقنا بين المتجمعين، وقدم "**بوارو**" بطاقته الخاصة إلى رجل الشرطة الذي أومأ برأسه وفتح باب الدكان، وسمح لنا بالدخول بين دهشة المتفرجين البالغة، وكان الظلام في الداخل كثيفا، فأدار الشرطي مفتاح النور. وعلى هذا الضوء الكهربي

أخذت أفحص ما حولي. كان دكانا صغيرا حقيرا أيضا من الداخل، وعلى منضدة البيع بعض الصحف والمجلات الرخيصة التي يعلوها الغبار، ووراء المنصة بضعة رفوف عليها علب السجائر والحلوى والتبغ وبعض الدُّمى الخزفية الرخيصة، وعلى مشجب في نهاية الدكان كان ثمة معطف من الصوف القديم، ومطرف، وصدار نسائي، وجورب جديد وكانت هذه كل بقايا ملابس المسكينة "**أليس آسكر**". قال "**بوارو**"، وهو يمسك بيدي:

– هلم إلى الخارج يا "**هاستنجز**"، فلن نجد هنا ما يلقي أي ضوء على الحادث.

- 5 -

وفي مقصورة الدرجة الأولى بالقطار الذي عاد إلى "**لندن**" قلت لـ"**بوارو**":

– مارأيك؟

– إن القاتل رجل متوسط الطول ،أحمر الشعر، أحول العينين يعرج بقدمه اليمنى قليلا، ويوجد تحت لوحة كتفه أثر جرح قديم. فهتفت قائلاً:

– ما هذا يا "**بوارو**"؟ فضحك قائلاً:

– ماذا تريد مني أن أقول وأنا أراك تنظر إليّ متوسلا، وكأنما ترجوني أن أخرج لك القاتل على طريقة "شرلوك هولمز"؟ الحقيقة أنني لا أعرف شيئًا عن القاتل.. لا عن شكله، ولا عن محل إقامته، ولا أدري كيف سيمكن القبض عليه.

– لو أنه ترك وراءه أثرا.

– لقد ترك وراءه دليل السكة الحديد.

– أتظن أنه تركه وراءه خطأ؟

– لا، بالتأكيد... والدليل على ذلك بصمات الأصابع.

– ولكنه لم يترك على الدليل أية بصمات، وهذا ما يجعلني أؤمن بأنه تركه عامدا، فنحن في شهر حزيران (يونيو)، والحر شديد، وليس من المعقول أن يسير رجل وفي يديه قفازان. ومادام لم يكن مستخدما لهما، فلابد أن يكون قد ترك عليه بصمات أصابعه وهو يحمله، ولكننا لم نجد بصمات أصابع، فمعنى هذا أنه حرص على مسح كل ما على الدليل من بصمات الأصابع ،ولو كان الذي ترك ذلك الدليل رجلا بريئا، لما اهتم بمسح بصمات الأصابع من فوقه. ولكن لماذا تركه القاتل وراءه؟ هذا هو السؤال.

– إذن فدليل "أ. ب. س" لا قيمة له في هذا الأمر. فهز "بوارو" كتفيه وقال:

– إن له قيمة من الوجهة الاستنتاجية فقط.. فالقاتل شخص ينوي أن يبقى مجهولا باسمه. ولكنه مع هذا أراد أن يلقي بعض الضوء على شخصيته من حيث لم يشأ.. فنحن من جهة لا نعرف عنه شيئا، ومن جهة أخرى نعرف عنه الكثير. فأنا مثلا أرى أن شخصيته بدأت تتكون في غموض أمامي، إنه رجل يكتب بخط واضح جيد، ويستعمل في رسائله ورقا من النوع الجيد وفي أشد الحاجة إلى التعبير عن شخصيته، إنني أراه في طفولته، طفلا جميلا، لا يهتم بأمره أحد، وأراه في شبابه ينمو وهو

يحس بأنه أقل شأنا من غيره، وبأنه مظلوم من الناس ومن المجتمع، ومن ثم أرى ذلك الحافز الداخلي.. الحافز الذي يدفعه إلى التعبير عن كيانه وشخصيته؛ لتوجيه الانتباه إلى شخصه، وظل هذا الحافز يقوى ويشتد، ولكن الظروف كانت تحطمه وتكبته بقسوة وعنف، وتضيف المزيد من الشعور بالإهانة في نفسه، وهكذا انتهى به الأمر إلى هذا الطريق الرهيب للتعبير عن ذاته. فقلت معترضا:

– هذا كله مجرد استنتاج.. إنه لا يفيد في الكشف عن غموض الجريمة.

– إنك تفضل أدلة أخرى: طرف عود ثقاب، رماد سيجارة، آثار حذاء بمسامير، خيط حريري وما إلى هذه الأدلة التي لم يعد المجرمون المحترفون يتركونها وراءهم، ولكن يمكننا أن نسأل أنفسنا:

لماذا ترك وراءه دليل "أ. ب. س" للسكة الحديد، ولماذا قتل السيدة "آسكر" بالذات؟ ولماذا اتخذ بلدة "أندوفر" مسرحا لجريمته؟ ثم الرسالة المجهولة التوقيع، لماذا أرسلها إليّ أنا بالذات؟ وبعد لحظة صمت قلت:

– وماذا تنوي أن تفعل بعد هذا؟

– لا شيء.

– كيف هذا؟

– ماذا تريدني أن أفعل؟ إنني لست ساحرا، ولا قارئ غيب. وكل ما يمكن أن أقوم به في هذا السبيل، سيقوم به رجال البوليس على الوجه الأكمل. ثم أردف بعد فترة صمت أخرى:

– الشيء الوحيد أمامي هو الانتظار... انتظار الرسالة الثانية. فحملقت

إليه مشدوها، وقلت:

– أتتوقع أن تأتي إليك رسالة أخرى؟

– بكل تأكيد يا عزيزي.. إن نجاح المجرم في الإفلات من نتائج الجريمة الأولى سيغريه بارتكاب جريمة ثانية. فهززت كتفي في شك، ومضت الأيام... وحفظ التحقيق في قضية مصرع السيدة "**آسكر**" وأفرج عن زوجها... ولم يشأ رجال البوليس، بناء على توصية "**بوارو**"، أن يشيرو أثناء التحقيق إلى دليل "**أ. ب. س**" للسكة الحديد، وعلى الجملة لم تلفت الجريمة اهتمام أحد خارج بلدة "**أندوفر**"... بل إن أهالي البلدة أنفسهم لم يلبثوا أن بدؤوا ينسون الحادث بعد أيام معدودات.

وأعترف أنني شخصيا، كنت قد أوشكت أن أنسى الحادث أيضا، لولا أنني تذكرته بقوة في صباح اليوم الخامس والعشرين من شهر تموز (يوليو). كنت قد شغلت ببعض المهام في مدينة "**يوركشاير**"، ولما عدت بعد الظهر، رأيت "**بوارو**" يصعد إلى المسكن بعد الساعة السادسة وهو يحمل خطابا وجده في صندوق بريده، وما كاد يفتحه، حتى هتف قائلاً:

– لقد وصلت.

– ماذا تعني؟

– الرسالة الثانية. ورحت أحملق إليه في ذهول، بينما دفع بالرسالة إليَّ وطلب مني أن أقرأها: «عزيزي السيد "**بوارو**"... حسنًا.. ما رأيك؟ لقد انتصرت عليك، وجعلتك تقف حائرا عاجزا أمام جريمة "**أندوفر**"، ولكن المباراة بيني وبينك لا تزال في أولها، والآن دعني ألفت نظرك إلى مصيف

"**بكسهيل**" في اليوم الخامس والعشرين من هذا الشهر... يا لها من مباراة رائعة مسلية يا سيد "**بوارو**"!».

المخلص

"**أ. ب. س**"

وهتفت قائلا بعد أن فرغت من قراءة الرسالة:

– يا للسماء! هل ينوي هذا المجنون أن يرتكب جريمة أخرى حقًّا؟

– بالتأكيد يا "**هاستنجز**". ألم أقل لك ذلك؟ وأعدت إليه الرسالة وأنا أرتعد، وكان هدوؤه قد أثارني، ولكني لم ألبث أن تبينت أن الانفعالات الشديدة لن تجدي في أمر خطير كهذا. وفي صباح اليوم التالي عقد كبار رجال المباحث مؤتمرًا خطيرا شهده المفتش "**جاب**" ومساعد المفتش "**كروم**" ومدير بوليس منطقة "**سيسكس**" ونائبه "**كارتر**" والمفتش "**جلين**" من "**أندوفر**"، وعالم التحاليل المشهور الدكتور "**ثومبسون**"، وقد شهدت مع "**بوارو**" هذا المؤتمر الخطير، واستعرض الجميع الموضوع من كل جوانبه، وحرص الدكتور "**ثومبسون**" – وكان كهلا لطيفا – على استخدام العبارات المبسطة في تحليلاته العلمية، أما نائب مدير "**اسكتلانديارد**" فقد قال:

– لم يعد لدينا شك في أن الرسالتين مكتوبتان بخط واحد وأن كاتبهما شخص واحد.

– ويمكننا أن نقول – عن يقين – إن كاتب هاتين الرسالتين هو مرتكب جريمة "**أندوفر**".

– تماما... ولدينا الآن إنذار صريح بارتكاب جريمة ثانية في اليوم الخامس والعشرين من هذا الشهر وبمصيف "**بكسهيل**"... أي أن الجريمة سوف تحدث بعد غد إذا لم نضع أيدينا على المجرم... فما الخطوات الواجب اتخاذها؟ التفت مدير بوليس "**سيسكس**" إلى نائبه مستفهما، وقال:

– ما رأيك يا "**كارتر**"؟ هز النائب رأسه في حيرة، وقال:

– إن الأمر جد عسير يا سيدي... فليس هنا أية إشارة تدل على من سوف يكون الضحية التالية، بل لا نعرف هل ستكون امرأة هذه المرة أم رجلا؟! وإذا تحدثت بصراحة، فأنا لا أدري ماذا يمكن أن يفعله الإنسان في هذه الظروف. وغمغم "**بوارو**" قائلاً:

– أظن أن الضحية التالية سوف يبدأ اسمها بالحرف "ب" فقال مدير "**اسكتلانديارد**" في شك:

– هذا رأي لا بأس به. وقال الدكتور "**ثومبسون**" مفكرا:

– عقدة "**أ. ب**".

– أظن أن الأمر مجرد احتمال، لا أكثر، وقد خطر لي هذا الاحتمال عندما قرأت اسم "**أليس آسكر**" أو على الأصح "**آسكر**" على لافتة حانوتها. ولما ذكر المجرم المجهول في رسالته التالية أن مسرح جريمته الثانية سيكون مصيف "**بكسهيل**"، خطر لي أن اسم الضحية سيبدأ بالحرف "**ب**" حسب ترتيب الحروف الأبجدية أو الهجائية في أسماء البلاد والضحايا. فقال الدكتور "**ثومبسون**":

– هذا محتمل جدًّا.. ومن ناحية أخرى قد يكون اسم "**آسكر**" وبلدة "**أندوفر**" مجرد مصادفة... وفي هذه الحالة ربما تكون الضحية التالية امرأة

عجوزا لها دكان صغير في "**بكسهيل**" . لا تنسوا أننا نتعامل مع رجل مجنون لا نعرف بعد دوافعه إلى ارتكاب هذه الجرائم. فسأله المفتش "**جاب**" قائلا:

– وهل للرجل المجنون دوافع تبرر ارتكابه جرائم قتل؟

– بالتأكيد له يا سيدي.. بل إن المجنون قد يتشبث بدوافع يعتقد تماما أنها منطقية ومعقولة وواجبة التنفيذ... فقد يعتقد مثلا أنه مبعوث العناية الإلهية لقتل جميع القساوسة، أو الأطباء ، أو النساء العجائز اللاتي يتملكن متاجر صغيرة لبيع السجائر والحلوى ولهذا لا يجوز أن نجري وراء نظرية الحروف الهجائية على أنها هي النظرية الصحيحة تماما. فربما كان اسم "**بكسهيل**" بعد "**أندوفر**" مجرد مصادفة. وهنا قال مدير بوليس "**سيسكس**" لنائبه "**كارتر**" :

– على الأقل يحسن أن نكون على حذر في هذه الناحية، وأن نتخذ بعض الاحتياطات الممكنة، وأن ندون الأسماء التي تبدأ بحرف الباء في ذلك المصيف، لاسيما أسماء النسوة العجائز اللائي يبعن بعض السجائر والحلوى في متاجر صغيرة، ولا أظن أن في مقدورنا أن نفعل أكثر من هذا، إلا أن نراقب الأجانب في تلك البلدة بصفة خاصة. وانفض المؤتمر بعد تقديم بعض المقترحات الأخرى التي لا قيمة لها... قلت لـ"**بوارو**" ونحن نسير على شاطئ النهر:

– "**بوارو**" ... لابد أن نمنع وقوع هذه الجريمة الثانية بأي شكل؛ فرفع "**بوارو**" إليّ وجها مرهقا، وقال:

– إن رجلا مجنونا واحدا قد يثير الفزع في قلب مدينة مليئة بالعقلاء.

- 6 -

مازلت أذكر ساعة يقظتي من النوم في صباح اليوم الخامس والعشرين من شهر تموز (يوليو)... وأعتقد أن الساعة كانت السابعة والنصف. كان "**بوارو**" واقفا بجانب فراشي يهزني برفق من كتفي، وما إن فتحت عيني وألقيت نظرة على وجهه، حتى تنبهت من نومي تماما، وقلت وأنا أعتدل جالسا:

– ماذا حدث؟ فقال بوداعة تخفي وراءها انفعالا مكبوتا:

– وقع ما كنت أخشاه. فهتفت قائلاً:

– ماذا؟ ولكننا في اليوم الخامس والعشرين.

– لقد وقعت الجريمة في الواحدة بعد منتصف الليل، أي في الساعة الأولى من اليوم الخامس والعشرين... هذا اليوم. فوثبت من فراشي، واغتسلت بسرعة... وراح "**بوارو**" يحدثني بما سمعه في التليفون وأنا أرتدي ملابسي، فقال:

– وجدت جثة فتاة شابة على شاطئ مصيف "**بكسهيل**"، وعرف أنها لفتاة تدعى "**بيتي برنارد**" واسمها الكامل "**إليزابيث برنارد**"، وكانت تعمل مضيفة في المقاهي، وتعيش مع والديها في بيت صغير من طابق واحد مبني حديثا، ويقول الطبيب الذي فحص الجثة إن الوفاة حدثت فيما بين الحادية عشرة والنصف والواحدة صباحا.

– وهل أيقن رجال الشرطة أن هذه هي الجريمة التي كنا نتوقع حدوثها؟

– عثروا تحت جثة الفتاة على دليل "**برادشو**" للسكة الحديد. فقلت وأنا

أرتعد:

– هذا أمر رهيب...! وماذا تنوي أن تفعل؟

– سوف تأتي سيارة الشرطة بعد لحظات لتنقلنا إلى مسرح الجريمة. وفي خلال ربع الساعة كانت سيارة الشرطة السريعة تنطلق بنا خارج مدينة "**لندن**"، وكان معنا المفتش "**كروم**" الذي شهد المؤتمر في اليوم الأسبق وقد عهد إليه بالتحقيق في الحادث، وكان "**كروم**" يختلف كثيرا عن المفتش "**جاب**"، فهو أصغر سنا، وأميل إلى الصمت وإلى الترفع عمن حوله، وأكثر علما وثقافة منه. والواضح أنه كان الشخص المناسب لتولي هذه المهمة الخطرة. ولكن عيبه الوحيد أنه كان يدرك هذه الحقيقة، فيزهو في أعماق نفسه، ويعامل مَنْ حوله كأنهم أطفال صغار. وبعد أن ساد الصمت بيننا فترة، قال "**كروم**" عندما تجاوزنا محطة "**نيوكروسي**":

– إذا أردت أن تستفسر عن شيء في هذه الجريمة فيمكنك أن تسألني.

– هل وصلتكم بعض التفاصيل عن الفتاة؟ وعن ظروفها الاجتماعية؟

– كانت في الثالثة والعشرين من عمرها، وتعمل في مقهى "**جنجزكات**".

– هل كانت جميلة؟

فرفع "**كروم**" حاجبيه، ثم قال في اقتضاب:

– هذا ما لم نعرفه بعد. وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي "**بوارو**"، وهو يقول:

– أترى أن هذا لا أهمية له؟! حسنًا، إنني أرى أن لجمال الفتاة في مثل هذه الظروف الأهمية الأولى. ويبدو أن المفتش "**كروم**" قرر أن يضع

للمحادثة نهاية، إذ قال ببرود:

- آه! نعم. وظل الصمت مخيما حتى بلغنا بلدة "**سيفن لوك**"، عندما قال "**بوارو**":

- هل عرفت على نحو ما كيف خنقت الفتاة، وبأي شيء؟

فأجاب "**كروم**" بإيجاز:

- خنقت بحزامها.... وهو حزام ثوبها الذي كانت ترتديه... حزام مفتول متين، معقد. فاتسعت عينا "**بوارو**". وقال:

- آها! لقد استطعنا أخيرا أن نعرف شيئًا محددا.

- إنني لا أرى في هذا ما يدل على شيء معين.

- أعتقد أنه يدل على عقلية المجرم الوحشية المضطربة. وساد الصمت بقية الرحلة. واستقبلنا في "**بكسهيل**" نائب مدير بوليس "**سيسكس**"، المفتش "**كارتر**"، وكان معه شاب وسيم هو المفتش "**كيسلي**" الذي عهد إليه بمعاونة المفتش "**كروم**" في مهمته. وقال المفتش "**كارتر**":

- أعتقد أنك تفضل القيام بتحرياتك الخاصة يا "**كروم**". ولهذا سأكتفي بذكر الخطوط العامة للجريمة؛ لكي أترك لك حرية البحث والتحقيق على طريقتك الخاصة.

فقال "**كروم**":

- شكرًا يا سيدي.

- لقد أبلغنا النبأ إلى والديها، وكانت الصدمة بطبيعة الحال قاسية، وقد تركتهما حتى يستردا بعض هدوئهما، وعليك أن تبدأ بسؤالهما الآن إذا شئت.

وسأل "**بوارو**" :

– هل هناك أفراد آخرون يهمهم الأمر في محيط أسرتها؟

– إن لها أختا تعمل على الآلة الكاتبة في "**لندن**"، وهناك شاب يقال إنه خطيبها، وإنها كانت على موعد للخروج معه أمس. وسأل "**كروم**" قائلاً :

– هل استطعتم أن تجدوا شيئًا جديدا عن دليل السكة الحديد الذي وجد تحت الجثة؟

فأشار "**كارتر**" إلى منضدة في غرفته وقال :

– إنه على هذه المنضدة، ولم نجد عليه أية آثار لبصمات أصابع، وهو دليل جديد... وقد وجدناه مفتوحا على الصفحة التي فيها اسم "**بكسهيل**"، ويبدو أن المجرم اشتراه من مكان بعيد عن هنا؛ لأننا سألنا جميع أصحاب المكتبات الموجودة في المنطقة.

– ومن الذي اكتشف الجثة يا سيدي؟

– ضابط متقاعد برتبة عقيد... وقد اعتاد الخروج مبكرا في السادسة صباح كل يوم مصطحبا كلبه؛ لاستنشاق هواء الصباح النقي... وبينما هو يسير على الشاطئ، في اتجاه بلاج "**كورين**" انطلق كلبه فجأة، وراح يتشمم شيئًا على الشاطئ، فلما تبعه صاحبه شاهد الجثة، فأسرع – دون أن يلمس شيئا – لإبلاغ الشرطة بالأمر.

– وتحدد وقت الوفاة بمنتصف الليلة الماضية.

– نعم، فيما بين الحادية عشرة والنصف والواحدة صباحا.. هذا مؤكد، ويبدو أن مجرمنا المجنون مصر على أن يكون عند وعده. وهكذا ارتكب جريمته في اللحظات الأولى من اليوم الخامس والعشرين كما وعد.

فأومأ "كروم" برأسه، وقال:

– نعم... هذه عقلية مختلة قطعا.. أليس ثمة تفاصيل أخرى؟ ألم ير أحد شيئًا قد يفيد التحقيق؟

– نعم، لا شيء حتى الآن، ولكننا ما زلنا في ساعة مبكرة، وأكبر ظني أن كل واحد شاهد أمس شخصا يسير مع فتاة في ثوب أبيض، سوف يأتي ويدلي إلينا بأقواله، وأعتقد أن عدد الفتيات ذوات الملابس البيضاء اللاتي سرن أمس مع رجال أو شباب لا يقل عن خمسمائة، وعلى هذا سيكون عدد الشهود ضخما.

فقال "كروم":

– حسنًا يا سيدي، يحسن أن أبدأ عملي الآن، وهناك بيت الفتاة، والمقهى الذي كانت تعمل فيه، وسأذهب إلى الاثنين، بادئا بالمقهى.

وتساءل "كارتر" قائلا وهو يلتفت إلى "بوارو":

– وماذا عن السيد "بوارو"؟ فقال هذا وهو ينحني برأسه للمفتش "كروم":

– يسرني أن أذهب معه. ولاح لي أن "كروم" لم يعجبه هذا... أما المفتش الشاب "كيسلي" الذي لم يكن قد رأى "بوارو" من قبل، فقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة. وقال "كروم":

– وماذا عن الحزام الذي كان أداة القتل؟ إن السيد "بوارو" يعتقد أن له دلالة كبيرة، ولا شك أنه يريد أن يراه.

فقال "بوارو" بسرعة:

– لا... لا... يبدو أنك أخطأت فهم ما أقصد.

وقال المفتش "كارتر":

– إنك لن تستطيع أن تجد في هذا الحزام ما يفيد التحقيق... إنه ليس حزاما من الجلد الذي قد تكون عليه بصمات أصابع ، وإنما هو حزام من الحرير المفتول الذي يصلح تماما لمثل هذا الغرض. قال "كروم":

– حسنًا.. هلم إلى العمل. بدأنا أولاً نزور مقهى "جنجركات" الذي يقع في مواجهة البحر، وكان من المقاهي النموذجية الصغيرة التي تكثر في المصايف حيث يشرب فيها الرواد القهوة والشاي والمرطبات، أو يتناولون بعض الوجبات الخفيفة، وكان بعض الرواد المبكرين قد جلسوا إلى موائدهم يشربون قهوة الصباح. ومن ثم أسرعت مديرته وأدخلتنا إلى غرفة خاصة؛ حتى لا نلفت إلينا الأنظار وقال لها المفتش "كروم" متسائلا:

– آنسة.. "ماريون"؟ فقالت مديرة المقهى بصوت يشوبه الحزن:

– أجل.. أجل، هذا هو اسمي، إن ما حدث أمر رهيب مزعج، أخشى أن يكون له أثر سيئ على العمل هنا.

وكانت الآنسة "ماريون" في نحو الأربعين من عمرها، نحيفة جدًا، وفي حالة اضطراب عصبي تدل عليه حركات أصابعها التي كانت تنقبض وتنبسط بلا توقف. وسألها المفتش "كروم" قائلاً:

– ماذا يمكن أن تحدثيني به عن المجني عليها يا آنسة "ماريون"؟

– لا شيء... لا شيء إطلاقا.

– منذ متى وهي تعمل هنا؟

– منذ الصيف الماضي.

– هل كنت راضية عن عملها؟

– نعم.. كانت مضيفة بارعة، وسريعة في تقديم الطلبات. وسألها "بوارو" قائلا:

– هل كانت جميلة؟

– كانت وسيمة... لطيفة الشكل. وسألها "كروم" قائلا:

– متى انصرفت من عملها الليلة الماضية؟

– في الساعة الثامنة مساء، إننا نغلق المقهى في مثل هذا الوقت؛ لأننا لا نقدم وجبة العشاء لأحد.

– ألم تذكر لك كيف كانت تنوي أن تقضي سهرتها؟

– بالتأكيد لا، إن علاقتنا الخاصة لم تصل إلى هذا الحد.

– ألم يحضر أحد للخروج معها، أو السؤال عنها؟

– لم يحضر إليها أحد.

– هل كانت في حالتها الطبيعية؟! أعني لم يبدُ عليها اضطراب أو انفعالات نفسية معينة؟

– إنني لا أعرف على وجه التحديد.

– كم عدد المضيفات العاملات في هذا المقهى؟

–اثنتان بصفة دائمة، واثنتان بصفة احتياطية ابتداء من اليوم العشرين من تموز (يوليو) حتى آخر آب (أغسطس).

– وهل كانت "بيتي برنارد" مضيفة احتياطية؟

– بل كانت مضيفة أصلية.

– وماذا عن الأخريات؟

– أتعني الآنسة "هيلي"؟ إنها لطيفة.

– وهل كانت هي و"**بيتي برنارد**" صديقتين؟

– هذا ما لا أجزم به.

– هل يمكننا إذن أن نتحدث إلى الآنسة "**هيلي**"؟ فنهضت الآنسة "**ماريون**" قائلة:

– سأبعث بها إليكم، وأرجو ألا تحتجزوها طويلا؛ لأن رواد المقهى يكثرون في هذه الساعة.

وبعد لحظات أقبلت فتاة ممتلئة الجسم، سوداء الشعر، متوهجة الوجه بالانفعالات، لاهثة الأنفاس وهي تقول:

– لقد أرسلتني الآنسة "**ماريون**".

– أنت الآنسة "**هيلي**"؟

– نعم.. أنا.

– أكنت تعرفين "**بيتي برنارد**"؟

– بالتأكيد! أليس ما حدث لها رهيبا؟ بلى، إنني لا أكاد أصدق ما حدث، لا أكاد أصدق أن "**بيتي**" التي كانت أمس متوقدة بالحياة تصبح اليوم جثة هامدة... إنني في حلم مزعج.

– هل كانت علاقتك بها وطيدة؟

– كانت أقدم مني في العمل هنا؛ لأنني بدأت أعمل منذ آذار (مارس) الماضي، ورأيي عنها أنها كانت فتاة لطيفة هادئة، لا تميل كثيرا إلى الضحك والمزاح، ولكن هذا لا يعني أنها كانت ثقيلة الظل، أو باردة العواطف، وإنما أقصد أن أقول: إنها كانت متحفظة في علاقاتها مع زميلاتها هنا. وبعد حديث طويل، فهمنا من الآنسة "**هيلي**" أنها لم تكن

صديقة خاصة للمجني عليها، وأنها - أي "**بيتي برنارد**" - كانت تتبادل الحب مع شاب يشتغل كاتبا في مؤسسة لتأجير المساكن والمنازل المفروشة بالقرب من المحطة، وأن الشاب وسيم وتتمناه كل فتاة. وبعد انصرافها تحدثنا إلى المضيفتين الاحتياطيتين، ولكننا لم نخرج من حديثنا إليهما بجديد.

- 7 -

كان والدا "**بيتي برنارد**" يعيشان في فيللا صغيرة، تقع بين خمسين مسكنًا مشابها لها، مشيدة في ضاحية المصيف، وكان الوالد - السيد "**برنارد**" - رجلا ضخم الجسم، في نحو الخامسة والخمسين من عمره، ويلوح أنه رآنا مقبلين، فوقف ينتظرنا عند مدخل مسكنه وقال بعد أن حيانا عند هبوطنا من السيارة:

- تفضلوا بالدخول أيها السادة. وأخذ المفتش "**كيسلي**" يقدمنا إليه الواحد بعد الآخر، حتى إذا علم الوالد أن المفتش "**كروم**" من رجال "**اسكتلانديارد**"، قال بحماس:

- هذا شيء طيب جدًا... نعم... يجب أن تبذل "**اسكتلانديارد**" جهدها للقضاء على ذلك المجنون الذي قتل ابنتي. واختلج وجهه بالألم الممض، فلم يتم عبارته. وفي غرفة الاستقبال، قال له "**كروم**":

- كانت "**بيتي**" تقيم معكما هنا كما فهمت، وكانت تشتغل مضيفة في مقهى "**جنجركات**"؟

– أجل.

– إن لك ابنتين؟ أليس كذلك؟

– بلى.. الكبرى تعمل في مكتب في "**لندن**".

– ألم تنزعج حينما تأخرت ابنتك عن الحضور أمس؟

– إننا لم نكن لنعرف أنها تأخرت؛ فنحن عادة ننام في ساعة مبكرة، ننام في التاسعة مساء، ولهذا لم نعرف أن "**بيتي**" تأخرت في الحضور إلا بعد أن جاء رجال الشرطة.

– هل كان من عادة ابنتك أن.... أن تتأخر في العودة إلى البيت؟

– أنت تعرف كيف تتصرف الفتيات في هذا الزمن يا سيدي المفتش... إنهن يرفضن القيود، ويتمادين في التحرر من رقابة الآباء، ولكن "**بيتي**" – بوجه عام – كانت لا تتأخر عن الحادية عشرة مساء.

– يقولون إن ابنتك مخطوبة لشاب؟!

– إنها لم تكن مخطوبة رسميا، ولكن علاقتها به كانت مقدمة للخطبة. وهو يدعى "**دونالد فريزر**".. شاب لطيف مستقيم، ولا شك أنه سيحزن أشد الحزن..

أجل كان يعمل كاتبا في مؤسسة لتأجير المنازل؟!

– ما اسم المؤسسة؟

– مؤسسة "**كورت وبرتسكيل**".

– هل كان معتادا أن يلتقي بابنتك كل ليلة بعد أن يفرغا من العمل؟

– لا.. ليس كل ليلة.. مرة أو مرتين فقط في الأسبوع.

– ألم تعرف ما إذا كانت تنوي مقابلته الليلة الماضية أم لا؟

– إنها لم تقل لنا شيئًا عن هذا... ولم تكن "**بيتي**" تكثر الحديث عن شؤونها الخاصة معنا أو مع غيرنا، ولكنها في جملتها كانت فتاة طيبة مستقيمة – أوه... إنني لا أصدق! لا أصدق! فقال "**كروم**" مواسيا:

– تأكد يا سيد "**برنارد**" أننا لن نستريح حتى نضع أيدينا على قاتلها، والآن أحب أن ألقي نظرة على غرفة "**بيتي**" الخاصة، فربما نجد بين أوراقها أو رسائلها ما ينير لنا السبيل. فنهض السيد "**برنارد**" وقال:

– تفضلوا معي... ومضى أولا، وتبعه المفتش "**كروم**"، ثم "**كيسلي**"، ثم "**بوارو**" وأخيرا أنا.

وتوقفت قبل الوصول إلى غرفة "**بيتي**" لأحكم رباط حذائي وعندئذ سمعت صوت سيارة تقف أمام باب المسكن، فنظرت من النافذة فرأيت فتاة في نحو الخامسة والعشرين تقفز منها، وتدفع الأجر للسائق، ثم تدخل البيت حاملة حقيبة سفر صغيرة وما كادت تراني حتى تسمرت في مكانها وتمتمت قائلة:

– من أنت؟ وهبطت الدرجات القليلة التي تفصلنا، وأنا في حيرة من أمري... إذ لم أكن قررت؛ هل أذكر لها اسمي أو أكتفي بالقول بأنني من رجال الشرطة.. وأراحتني بقولها: آه! أستطيع أن أستنتج من أنت.

– إنك آنسة "**برنارد**"... أليس كذلك؟

– بلى... "**ميجان برنارد**".. إنك من رجال المباحث... أليس كذلك؟

– الواقع أنني.... فقاطعتني قائلة:

– لا أظن أن لدي ما أقوله لك، فقد كانت أختي طيبة مستقيمة، ليس لها أي اتصال بالرجال... طاب صباحك. وأرسلت ضحكة قصيرة تنم

عن التحدي، وأردفت قائلة:

– هذه هي العبارات التقليدية التي تقال في مثل هذه المناسبة... أليس كذلك؟

– إنني لست مندوبا صحفيا إذا كان هذا ما ظننت. فتلفتت حولها.. وقالت:

– حسنا.. من أنت إذن؟ أين أبي وأمي؟

– إن أباك مع رجال المباحث في غرفة أختك الخاصة. وارتسم التردد على وجه الفتاة هنيهة وإذا بها تقول فجأة:

– تعال معي.. وتبعتها إلى غرفة صغيرة بجوار المطبخ. وبينما أنا أحاول إغلاق الباب، إذا "**بوارو**" ينفلت داخلا ويغلقه وراءه، وهو يقول بسرعة منحنيا للفتاة:

– آنسة "**برنارد**" كما أظن؟ فقلت لها:

– هذا هو السيد "**هركيول بوارو**" البوليس السري الخاص.

وقالت الفتاة:

– سمعت عنك يا سيدي... يقولون: إنك بارع في الكشف عن الجرائم المعقدة التي يعجز رجال "**اسكتلانديارد**" عن حلها.

– إنهم يبالغون يا آنستي. وجلست الفتاة على حافة مائدة في وسط الغرفة وأشعلت لفافة تبغ ثم قالت وهي ترسل سُحب الدخان من شفتيها:

– إنني لا أفهم لماذا يهتم السيد "**بوارو**" بجريمة عادية كهذه؟ فقال "**بوارو**":

– إن الذي لا تفهمينه يا آنستي، والذي لا أفهمه أنا، قد يملأ مجلدات

ضخمة... ولكن هناك أشياء يمكن أن يفهمها كل إنسان.

– مثل ماذا؟

– مثل الموت الذي يجعل الأحياء لا يتحدثون عن الموتى إلا بالخير، مع أن هذا قد لا يكون من الصدق في شيء.. لقد سمعتك الآن وأنت تقولين لصديقي النقيب "**هاستنجز**" إن أختك فتاة طيبة مستقيمة ليس لها علاقات بالرجال، وقد أدركت من نبرات صوتك أنك تريدين أن تقولي عكس هذا، وسواء أكنت مصيبا في هذا الإدراك أم مخطئا، فالمهم أني أريد أن أتحدث إلى شخص يعرف كل شيء عن "**بيتي**" ويذكر كل ما يعرفه بلا مجاملة أو مراوغة؛ حتى نستطيع أن نحدد موقفنا من هذه الجريمة.

وصمتت الفتاة هنيهة كانت خلالها تحملق إلى وجه "**بوارو**".... وفجأة قالت:

– كانت "**بيتي**" فتاة حمقاء متهورة. وانحنى "**بوارو**" للفتاة في إعجاب، وقال:

– إنني أحب فيك هذه الصراحة يا آنسة "**برنارد**"، وقد صدق حدسي بأنك فتاة لا ينقصها الذكاء..

– كنت أحب "**بيتي**" كل الحب.. ولكن هذا الحب لم يحجب عن عيني الحقيقة، وهي أنها كانت غبية، متهورة، لا تعرف ما يضرها وما ينفعها. لم تكن "**بيتي**" قط شريرة بطبعها أو منحلة الأخلاق، وأحب أن تتأكد من هذه الحقيقة تماما.. إنها لم تكن من النوع الذي يقضي نهاية الأسبوع مع أي رجل يدفع الثمن... لا... مطلقا... كل ما في الأمر أنها

كانت فتاة لعوبا في براءة، تحب أن تخرج مع الشبان إلى النزهات، وإلى دور السينما، وأن تسمعهم وهم يرددون عبارات الغزل لها.. .هذا هو كل ما في الأمر.

– هل كانت جميلة؟ تناولت "**ميجان**" من حقيبة يدها صورة صغيرة وقدمتها إلينا، وقد رأينا في الصورة وجها باسما لفتاة لا تستطيع أن تقول إنه جميل. وقال "**بوارو**" وهو يعيد الصورة إلى "**ميجان**":

– إنها كبيرة الشبه بك...

– لا... كانت أجمل مني...

– حسنًا... وكيف كانت علاقتها بالشاب "**دونالد فريزر**"؟

– كانت تبادله الحب، ولكنه كان يحبها بجنون، بينما كانت تحبه باعتدال... وكثيرا ما كنت أخشى أن ينفض يديه منها يأسا؛ بسبب تصرفاتها التي كثيراً ما أثارت المنازعات بينهما. هذا كل ما لدي من أقوال... طاب يومكما. ولكن "**بوارو**" أسرع يقول لها قبل أن تنصرف:

– مهلاً يا آنستي... إن الجريمة التي ذهبت أختك ضحيتها ليست من الجرائم العادية التي تحدث كل يوم. إنها أخطر من هذا بكثير، ومن ثم أرجو أن تتريثي قليلا وتزيدي من تعاونك معنا... ثم راح يسرد عليها ما حدث في "**أندوفر**"، ودليل السكة الحديد الذي وجدت نسخة منه في مسرح الجريمة الأولى، ثم في مسرح الجريمة الثانية، وقرأ عليها الرسالتين اللتين تلقاهما من المجرم المجهول، فلما فرغ نظرت الفتاة إليه في دهشة، وقالت:

– أتعني أن قاتل أختي رجل مجنون تطغى عليه شهوة سفك الدماء؟

- تماما...

- أواه! "بيتي"... "بيتي" يا للمسكينة! إذن لم يكن لها أي ذنب فيما حدث لها؟

- إن في مقدورك الآن يا آنستي أن تحدثينا بكل ما تعلمين؛ حتى نستطيع أن نقدم هذا القاتل إلى العدالة.

- نعم، نعم، هذا ما ينبغي.

- إذن لنصل ما انقطع من حديثنا، لقد فهمت أن "دونالد فريزر" كان ناقما على تصرفات أختك، وأن المنازعات كانت تكثر بينهما؛ بسبب غيرته الشديدة عليها!

فقالت "ميجان برنارد" بهدوء:

- سوف أضع ثقتي بك يا سيد "بوارو". وأرجو ألا تخبر أحداً بما سأقوله لك عن أختي. الواقع أن "دونالد" من الشباب الهادئين الذين يتحملون كثيرا، ولكنهم يختزنون الإساءات ويكبتون المشاعر، ثم ينفجرون بعنف شديد، وهذا ما كان يحدث مع أختي، كان شديد الغيرة عليها، وكان يحبها بعنف، ولكن "بيتي" لم تكن لتحبه بمثل هذا العنف... كانت تحبه حقًّا، ولكنها لم تكن من النوع الذي يكتفي بحب شخص واحد، فلا ترى غيره في الدنيا، وكانت بحكم عملها في المقهى كثيرة التعرف بالشبان والرجال، لاسيما في موسم الاصطياف، وأؤكد لك أن الأمر لم يكن يزيد بينها وبين أي شاب أو رجل على الخروج معه في نزهة قد تستغرق اليوم كله، أو الذهاب في صحبته إلى دار سينما.

وبمعنى آخر أنها لم تكن جادة في علاقاتها بأي شخص آخر غير

"**دونالد**" وكثيرا ما كانت تقول: إنها سوف تتزوجه في النهاية، وتستقر معه في حياة زوجية سعيدة بعد أن أشبعت نفسها باللهو والمرح ولكن "**دونالد فريزر**" لم يكن يفهم هذا الوضع... وإنما كان يفهم أنها كان عليها أن تحبه كما يحبها تماما.. بالقوة والإخلاص والتفاني نفسها. وقد أدى هذا الاختلاف في فهم الحب إلى منازعات.شديدة بينهما.

– متى كان آخر هذه المنازعات؟

– منذ شهر تقريبا.. كنت قد عدت من عملي في نهاية الأسبوع، عندما علمت أنهما تشاجرا بعنف حتى لقد فزعت "**بيتي**" من "**دونالد**". ولكني صالحتهما وأسرعت بتعنيف "**بيتي**"، وحاولت أن أبين لها خطأ ذلك التمادي في العبث واللهو مع الشبان الآخرين، وقد أكدت لي بدورها أنها تحب "**دونالد**"، وأن كل علاقاتها بغيره كانت مجرد صداقة بريئة وتسلية لا ضير فيها، وكانت قد تعودت بعد منازعة شديدة سابقة. أن تكذب عليه أحيانا خوفا من إثارته. وقد حدثت هذه المنازعة الأخيرة؛ لأن "**بيتي**" قالت إنها ستذهب لقضاء يوم مع صديقة لها، ولكن "**دونالد**" اكتشف أنها ذهبت إلى بلدة "**إيسيبورن**" مع صديق، وعلم أن هذا الصديق متزوج، وأنه كان يخرج مع "**بيتي**" سرا؛ وهذا ما أثاره وأخرجه عن طوره، وقد احتجت "**بيتي**" على غضبه قائلة: إنهما لم يتزوجا بعد، وأن من حقها أن تخرج مع من تشاء. وقد ضاعف هذا من ثورة "**دونالد**" حتى كان يرتعد ويصيح قائلاً: إنه سيضطر ذات يوم إلى... إلى...

– إلى ماذا يا آنسة "**برنارد**"؟ فقالت بصوت خافت:

– إلى ارتكاب جريمة.

– وهذا ما يجعلك خائفة من الحديث في هذا الموضوع؟

– إنني لم أكن لأظن أنه جاد في تهديده.... ولا أعتقد لحظة أنه هو القاتل... ولكنني كنت أخشى أن أتحدث بهذا كله فألفت إليه أنظار رجال المباحث، لاسيما وأن عددا كبيرا من الناس قد سمعوه وهو يقول هذا.

فقال "**بوارو**" :

– لولا غرور المجرم المجهول الذي يبدو في وضعه دليل السكة الحديد كل مرة مع الجثة، لتركزت الشبهات في "**دونالد فريزر**" فعلا. وفي تلك اللحظة دق جرس الباب الخارجي، فأطلت "**ميجان**" برأسها خلسة من النافذة، ثم عادت تقول:

– إنه "**دونالد**" . فقال لها "**بوارو**" :

– دعيه يأتِ إلينا أولاً قبل أن يراه مفتشو البوليس. وانفلتت "**ميجان**" حيث غابت لحظة ثم عادت ومعها الشاب "**دونالد فريزر**" .

- 8 -

أحسست بالعطف على الشاب حين رأيته مقبلا مع "**ميجان**" ... ذلك أن وجهه الشاحب المرهق كان ينم عما يصطرع في أعماق نفسه من آلام وأحزان. كان وسيما، رياضي الجسم، يكاد يبلغ طوله 180 سم، بارز الوجنتين، له شعر أحمر كالسنة اللهب، وكان يقول لـ"**ميجان**" وهو مقبل معها:

– ما هذا يا "**ميجان**"؟ لماذا تدخلينني هنا؟ لقد سمعت الآن فقط أن... أن "**بيتي**"... وتهدج صوته... ثم ترنح في وقفته.. فقدم "**بوارو**" إليه مقعدا تهالك عليه وهو يقول في اضطراب:

– هل حقًّا ما سمعت؟ هل ماتت "**بيتي**".. مقتولة؟

– نعم يا "**دونالد**".

– نعم؟ وبعد فترة صمت عاد يقول:

– وهل يقوم رجال المباحث بتحرياتهم الآن؟

– إنهم في الطابق الأعلى الآن.. في غرفة "**بيتي**".

– إنهم لا يعرفون من...؟ أليست لديهم أية فكرة عن...؟ ثم توقف عن الحديث فجأة، فسأله "**بوارو**":

– ألم تخبرك "**بيتي**" أين كانت تنوي الذهاب ليلة أمس؟

– بلى، قالت إنها ستذهب مع صديقة لها إلى بلدة "**سانت ليونارد**".

– وهل صدقتها؟ فهتف "**دونالد**" بحرارة:

– ماذا تعني بحق السماء؟ واربدّ وجهه بانفعالات عنيفة، جعلتني أؤمن بأن "**بيتي**" كانت على صواب في تجنبها إثارة غضبه.. وقال "**بوارو**":

إن سفاك دماء مجنونا قتل "**بيتي**"، ولكي نصل إلى الحقيقة يجب أن نلتزم الصراحة التامة في أحاديثنا.

وهنا قالت "**ميجان**":

– أجل يا "**دونالد**".. ليس هذا وقت العواطف. يجب أن تذكر كل ما تعرفه. ونظر "**دونالد**" بارتياب إلى "**بوارو**"، وقال:

– من أنت. إنك لست من رجال المباحث العامة؟

فقال "**بوارو**" بهدوء يوحي بأنه يؤمن تماما بما يقول:

– إنني خير منهم. وقالت "**ميجان**":

– صارحه بكل شيء يا "**دونالد**". فهدأت ثائرة "**دونالد**"، وقال باختصار:

– إنني غير واثق بشيء... كنت قد صدقتها حين قالت لي ذلك... ولكنني بدأت أتساءل فيما بعد.. بدأت أرتاب.

– لماذا؟

– إنني أشعر الآن بالخجل من شكوكي في أمرها، وأيًّا كان الأمر، فقد ذهبت إلى شاطئ البحر لأرقبها، وهي تنصرف من المقهى ولكنني تراجعت خشية أن تراني فتعلم أنني أراقبها.

– إذن ماذا فعلت؟

– ذهبت إلى "**سانت ليونارد**" حيث بلغتها في الثامنة مساء، ثم شرعت أراقب جميع السيارات العامة الآتية من "**بكسهيل**"؛ آملا أن أراها وهي تهبط مع صديقتها من إحداها؛ ولكنني لم أرها.

– ثم ماذا؟

– يئست أخيرا من لقائها، فعدت.

– في أي وقت؟

– لا أدري.. لقد عدت ماشيا، ولا شك أن الليل كان قد انتصف حين بلغت مسكني.

– ثم...؟! وهنا فتح باب المطبخ، ودخل المفتش "**كيسلي**" قائلا:

– أنت هنا؟ وشق المفتش "**كروم**" طريقه بسرعة، وألقى نظرة سريعة على

"**ميجان**" و"**دونالد**"، وعندئذ قدمهما "**بوارو**" إليه قائلاً:

– الآنسة "**ميجان برنارد**"، والسيد "**دونالد فريزر**". ثم قال للشاب والفتاة موضحا:

– وهذا المفتش "**كروم**" من "**اسكتلانديارد**"، واستدار نحو المفتش وأردف قائلا:

– كنت في أثناء تحرياتك في الطابق العلوي أتحدث إلى الآنسة "**ميجان**" والسيد "**دونالد**" آملا أن أجد شيئًا يلقي بعض الضوء على الجريمة. فقال "**كروم**" وهو مشغول الفكر عن الشاب والفتاة:

– آه، حسنا! وتراجع "**بوارو**" إلى الصالة، وأسرعت وراءه حيث قلت له:

– هل وصلت إلى شيء؟

– عرفت فقط يا "**هاستنجز**" أن القاتل على جانب كبير من الاعتزاز بالنفس. ولم أجد الشجاعة الكافية لأقول له: إنني لم أفهم شيئا وعقدنا مؤتمرا آخر من سلسلة المؤتمرات التي عقدناها لبحث موضوع ذلك القاتل الخفي "**أ. ب. س**" وكان هذا المؤتمر الأخير خاصا بتقرير ما إذا كان ينبغي أو لا ينبغي أن نعلن على الرأي العام موضوع الرسائل التي بعث بها المجرم المجهول إلى "**بوارو**".. ذلك أن جريمة "**بكسهيل**" كان لها أثر في الرأي العام؛ لأنها أولا: وقعت في مصيف مزدحم بالمصيفين، وثانيا: لأن الضحية فيها كانت هذه المرة فتاة شابة على جانب من الجمال، وبعد مناقشات طويلة، اتفقنا على أن المجرم المجهول، يعاني نوعا من جنون العظمة، وأنه لم يرتكب هذه الجرائم، ويرسل إلى "**بوارو**" هذه الرسائل إلا سعيا وراء نوع من الشهرة التي ترضي غروره المكبوت، وانتهينا أخيرا إلى

قرار مؤداه أن ننتظر... فإذا أرسل إلى "بوارو" رسالة ثالثة يحدد فيها المكان والزمان اللذين سيرتكب فيهما جريمته الثالثة، أعلنا على الناس جميعا كل شيء عنه حتى يأخذ الجميع حذرهم ويصبح من العسير عليه تنفيذ جريمته، كما يمكن الإيقاع به إذا هو حاول تنفيذها. وإني لأتذكر بوضوح وصول الرسالة الثالثة التي كتبها ذلك المجرم المجهول الذي يرمز لنفسه بالأحرف الهجائية الثلاثة "أ. ب. س". وصلت الرسالة الثالثة في يوم جمعة مع بريد الساعة العاشرة مساء. فما إن سمعت طرقات ساعي البريد المعهودة، حتى وثبت مسرعا، وهرعت إلى صندوق بريد "بوارو" الخاص حيث وجدت فيه أربع أو خمس رسائل بينها رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة، تماما كسابقتيها! وهتفت قائلا، وأنا أنطلق بها إلى "بوارو":

- "بوارو"... لقد وصلت الرسالة. فصاح قائلاً:

- افتحها... افتحها يا "هاستنجز" بسرعة.. وفضضت الرسالة، ورحت أقرؤها بصوت مسموع: «أيها المسكين "بوارو"، هل أدركت الآن أنك لست بارعا في القبض على المجرمين، وفي الكشف عن الجرائم الغامضة كما كنت تظن، يبدو أن الشيخوخة قد ركبتك! حسنًا، لنر ماذا يمكن أن نفعل هذه المرة! سأجعل الأمر سهلا جداً.

موعدنا في اليوم الثلاثين من هذا الشهر، وفي بلدة "سيرستون". حاول أن تفعل شيئًا... فإنني بدأت أشعر بالملل وأنا أتجول في الميدان بمفردي! أرجو لك التوفيق.

صديقك

"أ. ب. س"

ووثبت قائلا وأنا أفتح دليل السكة الحديد على حرف "س":

– "سيرستون"... ترى أين تقع؟ وسمعت "بوارو" يقول بانفعال:

– "هاستنجز"! متى كتب هذا الخطاب؟ هل عليه تاريخ الإرسال؟

فنظرت إلى الرسالة في يدي وقلت:

– أجل.. إنها تحمل تاريخ اليوم السابع والعشرين.

– وهل حدد موعد جريمته الثالثة اليوم الثلاثين؟

– أجل.

– يا إلهي... هل نسيت أننا في اليوم الثلاثين فعلا؟! ونظرت إلى نتيجة الحائط. ثم قلت:

– عجبا! ولكن، ما معنى..؟ واختطف "بوارو" الظرف من يدي، وقرأ العنوان المكتوب عليه السيد "هركيول بوارو"، عمارات "هوايت هورس" ثم قرأ ملاحظات موظفي البريد المكتوبة في أركان الظرف:

«غير موجود في عمارات "هوايت هورس" ويجري البحث عنه في "هوايت هورس كورت" ثم يعاد البحث عنه في عمارات "هوايت هافن"». وكان "بوارو" يقيم في مسكن بعمارات "هوايت هافن" وغمغم "بوارو" قائلاً في انزعاج شديد:

– يا للسماء! هل الأقدار تساعد هذا المجرم فتجعله يكتب العنوان خطأ لكي تأتي الرسالة متأخرة عن موعدها ثلاثة أيام؟ أسرع، أسرع، يجب أن تتصل بـ"اسكتلانديارد" فورا.

وبعد لحظة، كان "بوارو" يتصل تليفونيا بالمفتش "كروم" الذي قال إنه سيتصل فورا ببلدة "سيرستون". ووضع "بوارو" السماعة ثم قال وهو

ينظر في ساعته:

– الساعة الآن العاشرة والثلث... ويبقى على منتصف الليل ساعة وأربعون دقيقة... ترى هل نستطيع أن نصل إلى "**سيرستون**" قبل منتصف الليل؟ وهل ذلك المجرم المجنون لم يرتكب جريمته بعد؟ ففتحت دليل السكة الحديد، وقلت وأنا أقرأ فيه:

– بلدة "**سيرستون**" تقع على البحر بإقليم "**ديفون**"، تبعد عن "**بادنجتون**" ثلاثمائة وثمانية وعشرين كيلو مترا، عدد سكانها **656** نسمة... إنها محدودة السكان جداً، ولابد أن أي شخص غريب يدخلها سيلاحظه السكان فيها.

– إن هذا لن يمنع وقوع جريمة قتل أخرى... ما مواعيد القطارات المارة بها؟

– هناك قطار منتصف الليل، به مركبة نوم، يصل في الساعة السادسة وثماني دقائق إلى "**نيوتن**"، وفي الساعة السابعة والربع صباحا إلى "**سيرستون**".

– لسوف نركب هذا القطار يا "**هاستنجز**". وبينما كان "**بوارو**" يتصل تليفونيا مرة أخرى بـ"**اسكتلانديارد**"، أسرعت أنا بوضع بعض الحاجات الضرورية في حقيبة السفر... ولما عاد "**بوارو**"، قال: إن بعض رجال "**اسكتلانديارد**" سيلتقون بنا على رصيف المحطة، وأنه يحسن بنا أن نأخذ معنا الرسالة الثالثة ليطلعوا عليها.

وكان المفتش "**كروم**" أول من رأيناه على رصيف المحطة وقد قال مجيبا على نظرة "**بوارو**" المتسائلة:

– لا... لم تصلنا أية أنباء بعد... إن رجالنا قد حذروا بالتليفون جميع الأشخاص الذين تبدأ أسماؤهم بالحرف "**س**" في تلك البلدة. لا تزال الفرصة سانحة أمامنا... أين الرسالة؟ وبعد أن فحصها، صفر منزعجا، وهو يقول:

– يا لسوء الحظ! إن النجوم في سمائها تساعد هذا اللعين ضدنا. وحينما كان القطار يتحرك من المحطة، لمحنا أحد رجال المباحث يسرع نحونا، ثم ينقر على نافذة المقصورة التي جلسنا فيها، فأسرع "**كروم**" وفتحها قائلا:

– ماذا، هل وصلت إليكم أنباء ما؟

ولم نسمع ما قاله الرجل، ولكن وجه "**كروم**" كان شديد التجهم وهو يلتفت إلينا قائلاً:

– لقد عثروا على السيد "**سيرميكال كلارك**" مقتولا بضربة على مؤخر رأسه. وكنا جميعا نعرف السيد "**سيرميكال كلارك**" إخصائي أمراض العيون الذي لم يكن مشهورا جدًّا بين الطبقات الشعبية، وكان قد تقاعد عن العمل بعد بلوغه سن الستين؛ ليتفرغ لهوايته الخاصة، وهي جمع التحف الخزفية الثمينة المصنوعة في "**الصين**"، لاسيما القديم منها، وكان بعد تقاعده قد ورث عن عمه ثروة طائلة، أتاحت له فرصة الحصول على الشيء الكثير من هذه التحف من مختلف المزادات العالمية... وكان متزوجا، ولكنه لم ينجب أطفالا، وكان يعيش في منزل خاص على شاطئ البحر في إقليم "**ديفون**"، ولا يذهب إلى "**لندن**" إلا نادرا. وكان من الواضح أن مقتله سوف يثير في الرأي العام – وفي الصحافة بوجه خاص –

ضجة كبيرة، لاسيما وقد وقعت الجريمة في شهر آب (أغسطس) حيث يكون معظم الناس متلهفين إلى ما يشغل أذهانهم.

- 9 -

تقع بلدة "**سيرستون**" بين مصيف "**بريكسهام**" من جهة، و "**بانتون**" و "**توركاي**" من جهة أخرى، وكانت قبل عشر سنوات مجرد ملعب للجولف، أو على الأصح ساحة لملاعب الجولف في تلك المنطقة، إلا أنها في السنوات الأخيرة نمت وزحف العمران عليها، وأقيمت فيها المنازل والشوارع والفيللات المتناثرة على الشاطئ. وكان السيد "**سيرميكال كلارك**" قد اشترى قطعة أرض، تشرف على البحر من ربوة عالية، وأقام فيها منزلا على الطراز الحديث يحتوي على مسكن خاص لصاحبه، وجناحين يحتويان على مجموعات التحف الثمينة التي يهوى جمعها. وقد وصلنا إلى ذلك المكان في الساعة الثامنة صباحا، حيث وجدنا أحد رجال الشرطة المحلية في استقبالنا على المحطة، وهو الذي زودنا بالمعلومات الأولى عن الحادث. علمنا منه أن السيد "**سيرميكال**" كان قد اعتاد أن يقوم بجولة على قدميه بعد العشاء كل ليلة، ولما اتصل رجال الشرطة بمنزله تليفونيا ليحذروه – وكان ذلك بعد الحادية عشرة مساء – علموا أنه لم يعد بعد من جولته، ولما كان خط سيره معروفا، فإن البحث عنه لم يستغرق فترة طويلة إذ ما لبث أن عثر رجال الشرطة على جثته في مكان ما من الطريق الذي اعتاد أن يتجول فيه، وكانت الوفاة نتيجة ضربة عنيفة

أصابت مؤخر الرأس. وبجانب الجثة وجدوا دليل "**أ. ب. س**" للسكة الحديد موضوعا في وضع مقلوب.

ووصلنا إلى البيت في نحو الثامنة وعشر دقائق، حيث فتح لنا الباب خادم هرم كان الحزن الشديد واضحا على وجهه. وقد حيَّاه رجل الشرطة المحلية بقوله:

– طاب صباحك يا "**ديفريل**".

– طاب صباحك يا سيد "**ويلز**".

– هؤلاء هم السادة الوافدون من "**لندن**".

– تفضلوا أيها السادة. ومضى أمامنا عبر قاعة كبيرة للطعام، كان على مائدة فيها صحفة عليها وجبة فطور كاملة. ثم قال:

– لسوف أستدعي السيد "**فرانكلين**". وبعد لحظة أقبل رجل كبير الجسم، أشقر الشعر، ملوح الوجه بوهج الشمس. وكان هذا – كما علمنا – السيد "**فرانكلين كلارك**"، شقيق المتوفى، وكان يبدو عليه، من تصرفاته الثابتة، أنه رجل اعتاد أن يواجه مثل هذه المواقف العصيبة بثبات. وقام السيد "**ويلز**"، رجل الشرطة المحلية، بعملية التقديم وصافحنا "**فرانكلين كلارك**" كل منا على حدة، وهو يزودنا بنظرات حادة نافذة. وبعد أن أصغى السيد "**كلارك**" إلى حديث المفتش "**كروم**" عن رسالة "**أ. ب. س**" وعن جرائمه. قال:

– سيقدم إليكم السيد "**ويلز**" فكرة عامة عن حادث الأمس، أما من ناحيتي، فإنني لا أكاد أصدق ذلك الحديث عن المجرم المجهول الذي يسمي نفسه "**أ. ب. س**" هل تريد مني يا سيدي المفتش "**كروم**" أن أصدق أن

أخي مات قتيلا بيد مجرم مجنون ارتكب جريمتين قبل ذلك، وأنه يختار ضحاياه حسب الترتيب الهجائي لأسمائهم؟ وأنه يضع بجانب كل ضحية دليل "أ. ب. س" للسكة الحديد؟ فقال المفتش "كروم":

– هذه هي الحقيقة بقدر ما نعرف حتى الآن يا سيد "كلارك".

– لكن لماذا؟ ما الفائدة التي يمكن أن تعود من مثل هذه الجرائم حتى على أشد الناس جنونا؟

فاومأ "بوارو" برأسه موافقا، وقال:

– أحسنت التعبير يا سيد "كلارك". هذا هو السؤال الذي يحيرنا جميعا. فقال المفتش "كروم":

– لا جدوى الآن من البحث عن دافع الجريمة يا سيد "كلارك"... هذه مهمة علماء النفس، وإن كنت شخصيا أعرف أن الجرائم التي يرتكبها المجانين ليس من الضروري أن تكون لها دوافع معقولة.. فمثلا هناك دافع الرغبة – عند البعض – في إثبات وجودهم أمام الناس، وفي إثارة ضجة ضخمة حول أسمائهم، أو أن يصبحوا مشهورين بأية وسيلة بدلا من بقائهم نكرات. والآن أتسمح يا سيد "كلارك" أن تذكر لي بعض ما تعرفه من حقائق عن ظروف أخيك، وتجيب عن بعض ما سأوجهه إليك من أسئلة؟

– بالتأكيد... بالتأكيد...

– هل كان أخوك في حالة صحية ومعنوية طبيعية أمس؟ ألم يتسلم رسائل غير منتظرة؟ ألم يحدث ما أشاع الاضطراب في نفسه؟

– نعم لم يتسلم... أستطيع أن أقول: إنه كان في حالة طبيعية من

جميع الوجوه.

– ألم يكن هناك ما يثير قلقه واضطرابه؟

– إن القلق والاضطراب يا سيدي المفتش من الحالات الطبيعية التي كان يعيش فيها أخي بصفة دائمة.

– لماذا؟

– لعلك لا تعرف أن زوجته، السيدة "**كلارك**"، في حالة صحية مؤلمة ويمكن القول فيما بيننا: إنها تعاني سرطانًا لا يرجى شفاؤه، ولا ينتظر أن تعيش طويلا، وكانت حالتها الصحية هذه تثير الألم في نفس أخي دائما. وأنا نفسي فوجئت بالتغيير الكبير الذي طرأ عليه عندما عدت من الشرق الأقصى بعد غيبة طويلة.

– هل كان أخوك معتادا القيام بجولة على قدميه كل ليلة؟

– بالتأكيد.. فيما عدا الليالي المطيرة.

– وهل جميع المقيمين في البيت معك يعرفون عنه هذه العادة؟

– بالتأكيد...

– وسكان البلدة؟

– على وجه الدقة ليس لدينا بلدة بالمعنى المفهوم. كل ما في الأمر أن لدينا مكتب بريد، وبضعة بيوت وشوارع قليلة، ولكن ليس ثمة محلات ولا منافع عامة يمكن أن تتكون منها بلدة.

– في هذه الحالة يمكن بسهولة أن يثير الانتباه أي غريب يدخل هذه المنطقة ويتجول فيها؟

– على العكس... فإن هذه المنطقة في شهر آب (أغسطس) تكون عادة

مزدحمة بمختلف أنواع الأشخاص الغرباء، إنهم يفدون من "**بريكسهام**"، و"**توركاي**"، و"**بايتون**" في السيارات والحافلات وعلى الأقدام.

– إذن فأنت ترى أن وجود غريب في هذه الناحية لا يثير انتباه أحد؟

– أجل... إلا إذا كان شاذ التصرفات. مخبولا أو مجنونا مثلا. فقال المفتش "**كروم**" بلهجة التأكيد:

– إن ذلك المجرم لا يبدو مجنونا أو شاذ التصرفات أمام الناس، وأعتقد أنه جاء أولا لاستكشاف هذه المنطقة ورسم خطته لارتكاب الجريمة ومعرفة عادة السيد "**ميكال كلارك**" في التمشي كل ليلة، وبهذه المناسبة، ألم يأتِ رجل غريب أمس ليسأل عن السيد "**كلارك**"؟

– لا أعرف على وجه اليقين... ولكن يمكننا أن نسأل "**ديفريل**". ورن الجرس فأتى الخادم الهرم ووجه إليه ذلك السؤال، فقال الخادم مجيبا:

– لا يا سيدي، لم يحضر أحد لمقابلة السيد "**كلارك**"، ولم ألاحظ وجود شخص غريب بالقرب من القصر. وكذلك الخادمات لم يرين شيئا؛ لأني سألتهن.

– حسنًا يا "**ديفريل**". يمكنك أن تنصرف. وانسحب "**ديفريل**" إلى الباب حيث أفسح الطريق لفتاة شابة أقبلت في تلك اللحظة. ونهض "**فرانكلين كلارك**" عند دخولها، وقال يقدمها:

– هذه هي الآنسة "**تورا جراي**" أيها السادة، سكرتيرة أخي.

ولفت انتباهي فورا بياض بشرتها الناصع الذي يشبه بياض سكان الدول "**الإسكندنافية**"، وكان شعرها ذهبيا فاتح اللون جدًّا كشعر معظم النساء النرويجيات والسويديات، وكذلك كانت عيناها خضراوين فاتحتين،

وليشرتها ذلك الصفاء المتألق الذي يبلغ حد الشفافية، ويمتاز به سكان المناطق الشمالية من "أوربا" بوجه عام، ومن ناحية السن كانت تبدو في السابعة والعشرين ، كما لاح أنها على كفاية ممتازة بجانب جمالها اللافت للنظر. قالت وهي تتخذ مجلسها:

– هل أستطيع أن أقدم إليكم أية مساعدة أو خدمة؟ فسألها "**كروم**" قائلاً:

– هل كنت تشرفين على مراسلات السيد "**سيرميكال**"؟

– أجل... كلها.

– أعتقد أنه لم يستلم رسالة أو أكثر موقعة بالحروف "**أ. ب. س**".

– "**أ. ب. س**" لا، لا... إنني لواثقة تماما بأنه لم يتسلم رسالة موقعة بمثل هذه الأحرف؟

– نعم، ألم يذكر في معرض حديثه ذات مرة أنه رأى شخصًا يتسكع في طريق جولته المسائية؟

– لم يذكر قط شيئًا من هذا القبيل.

– وأنت، ألم تلاحظي وجود أحد الأشخاص الغرباء بالقرب من القصر في الأيام الأخيرة؟

– رأيت كثيرا من الغرباء يمرون بالقرب من القصر، فمن المعتاد أن تكثر وفود بعض المصيفين في هذه المنطقة.

وطلب المفتش "**كروم**" أن يذهب إلى المنطقة التي اعتاد السيد "**سيرميكال**" أن يتمشى فيها كل ليلة... فمضى "**فرانكلين**" أمامنا وخرجنا من باب الشرفة، ومعنا الآنسة "**جراي**". وكنت أنا وهي في

المؤخرة. ومن ثم قلت لها على انفراد:

– لا شك أن ما حدث كان صدمة عنيفة لكم جميعا؟

– أنا لا أكاد أصدق ما حدث... لقد أويت إلى فراشي أمس، وما كدت أستغرق في النوم حتى دق رجال الشرطة جرس الباب الخارجي، وسمعت وقع أقدام هابطة فنهضت لأرى ماذا حدث، رأيت "**ديفريل**" والسيد "**كلارك**" يحملان المصابيح للمضي إلى الخارج.

– ما الوقت الذي اعتاد السيد "**كلارك**" أن يعود فيه من جولته المسائية؟

– في العاشرة إلا ربعا كالمعتاد... وكانت عادته أن يدخل بمفرده من باب جانبي حيث يمضي إلى فراشه أحيانا فورا، وفي أحيان أخرى يقصد إلى أحد الجناحين اللذين يضمان تحفه الثمينة. ولولا أن رجال الشرطة اتصلوا تليفونيا ليسألوا عنه، لما اكتشف أحد غيابه إلا في صباح هذا اليوم.

– لا شك أن الحادث كان صدمة رهيبة لزوجته المسكينة؟

– إن السيدة "**كلارك**" تكاد تعيش في شبه غيبوبة؛ بسبب "المورفين" الذي يعطى لها لتسكين آلامها، وأعتقد أنها في حالة لا تكاد تسمح لها بمعرفة ما يجري تماما. وسرنا في ممر يؤدي إلى شاطئ البحر. قال "**فرانكلين كلارك**":

– هذا هو الطريق الذي كان يتمشى فيه أخي كل مساء... كان يأتي إلى هذه البقعة حيث يستريح قليلا، ثم يعود من الممر نفسه، ولكنه بدلا من أن ينحرف في نهايته شمالا ينحرف يمينا فيسير في بعض الحقول حتى يعود إلى القصر. وأومأ "**كروم**" برأسه.

وعدنا من الطريق الذي اعتاد السيد "**سيرميكال**" أن يعود منه، حتى وصلنا إلى نقطة في منتصف المسافة الباقية على الوصول إلى القصر، وفي جانب من أحد الحقول، حيث عثر رجال الشرطة على جثة المجني عليه. وأومأ "**كروم**" برأسه قائلاً:

– كان الأمر سهلا جدًّا.. لقد تربص القاتل المجهول لأخيك وراء هذه الشجرة ثم فاجأه من الخلف. وعدنا إلى البيت حيث علمنا أن الجثة حملت منه بعد أن تم تصويرها. وبينما نحن نصعد السلم الواسع، رأيت الطبيب يخرج من إحدى الغرف وفي يده حقيبته السوداء، فسأله "**كلارك**" قائلا:

– هل لديك ما تقوله لنا يا دكتور؟ فهز الدكتور رأسه، وقال:

– الحالة واضحة، وسوف أحتفظ بالتفصيلات لجلسة التحقيق، ولكني أؤكد أن المجني عليه لم يتعذب لحظة فقد كان الموت مباغتا سريعا، ثم أردف قائلاً:

– لسوف أصعد لأرى السيدة "**كلارك**". وأقبلت ممرضة مستشفى من نهاية الدهليز، فمضى الطبيب إليها وصحبها.

- 10 -

غادر السيد "**ألكسندر بونابرت سوست**" مسرح "**توركاري**" مع الخارجين بعد أن استمتع بمشاهدة الفيلم العاطفي "**العصفور**". ورمش بعينيه في شمس ما بعد الظهيرة، وتلفت حوله كعادته كما يفعل الكلب

الضال في الحياة. وانطلق باعة الصحف من حوله يصيحون: «آخر طبعة... جريمة "**سيرستون**"» فابتاع "**سوست**" نسخة من إحدى الصحف... ولكنه لم يتصفحها فورا، ومضى إلى حدائق "**ابرنسس جاردنز**" حيث سار في بطء وتمهل إلى مقعد يواجه ميناء "**توركاي**"، فجلس عليه، وفتح الصحيفة حيث واجهته العناوين الرئيسية بهذه الأنباء: «مصرع السيد "**سيرميكال كلارك**"» «مأساة رهيبة في بلدة "**سيرستون**"» وتحت هذا كله قرأ ما يلي:

«روعت البلاد منذ شهر بمصرع الفتاة الشابة الحسناء "**بيتي برنارد**" في مصيف "**بكسهيل**" - ولعلنا نذكر أنه وجد بجانب الجثة دليل "**أ. ب. س**" للسكة الحديد وكذلك عثر رجال المباحث على دليل من هذا النوع بجانب جثة السيد "**سيرميكال**"، ومن ثم يرى رجال المباحث أن مرتكب الجريمتين مجرم واحد، فهل يمكن أن يكون ثمة مجرم مجنون يعيث فسادا في مصايفنا؟» وغمغم شاب في قميص ملون وبنطلون رمادي، كان جالسا بالقرب من "**سوست**"، قائلا:

- شيء مزعج...! وأجفل السيد "**سوست**" في جزع، ولكنه تمالك نفسه وقال:

- آه! أجل.. أجل. ولاحظ الشاب أن يدي الرجل الكهل الجالس بجانبه ترتعدان بحيث كان عاجزا عن إمساك الصحيفة بهما؛ فقال له:

- إن الإنسان لا يستطيع أن يواجه مجرما مجنونا كهذا بالطرق المألوفة.

- أعتقد هذا.

- ويلوح أن الحرب هي المسؤولة عن كثرة هذه الإصابات العقلية.

– أظن أنك.. أنك على حق في هذا. وضحك "سوست".. ضحك عاليا ولمدة طويلة. وجزع الشاب بعض الشيء وقال لنفسه: «إن الرجل مجنون» ثم قال بصوت مسموع:

– إنني.. آسف يا سيدي.. أعتقد أنك اشتركت في الحرب الأخيرة.

– أبدا... إن الصداع يلازمني دائما بشكل لا يحتمل.

– أوه، إنني آسف لهذا!؟

– وفي بعض الأحيان، لا أكاد أعرف ما أفعله من فرط الألم... فقال الشاب وهو ينهض مسرعا:

– أحقًّا؟ آه! يجب أن أمضي الآن، فإني على موعد. وبقي "سوست" في مكانه وأخذ الناس يسيرون أمامه ذهابا وجيئة وكان معظمهم يتحدثون عن الجريمة.

طوى السيد "سوست" صحيفته ودسها في جيبه، ونهض في طريق العودة إلى المدينة، ورأى في طريقه فتيات كثيرات ضاحكات يغازلن الشبان والرجال الذين يمرون بهن في الطريق بالنظرات والابتسامات. ولكن لم تفكر واحدة منهن في أن تلقي مجرد نظرة واحدة على السيد "سوست". بينما كانت الصحف تحذر الناس من المجرم المجهول وتكتب بالخط العريض «إنه قد يكون بجانبك الآن".

كان "بوارو" من جانبه قد قرر أن يعقد اجتماعا مع أقرب الناس إلى الضحايا الثلاث ليتحدث إليهم، وليحاول أن يعتصر منهم كل ما يمكن أن يكون مختزنا في ذاكرتهم، وكان الذين أرسل يدعوهم إلى الحضور هم: "ماري دراور" ابنة أخت السيدة "آسكر" و"ميجان برنارد" أخت "بيتي

برنارد"، و"دونالد فريزر"، و"تورا جراي" و"فرانكلين كلارك". وفي اليوم المحدد للاجتماع، وصل "كلارك" أولا، وقبل الموعد بنحو نصف الساعة، بناء على رغبة "بوارو"، وقد قال بعد أن تبادلنا معه التحية واستقر في مجلسه.

– أنا يا سيد "بوارو" غير مطمئن إلى كفاءة المفتش "كروم"؛ أعتقد أن هذه الجرائم تحتاج إلى عبقرية بوليسية خاصة... ولولا المشاغل الكبيرة التي ينبغي أن أقوم بها بعد وفاة أخي، لخصصت وقتا أطول لكي أضع نفسي تحت أمركم، ولكي أتعاون معكم على منع وقوع الجريمة الرابعة.

– إذن فأنت ترى أن المجرم سيستمر في ارتكاب جرائمه.

– حسب ترتيب الحروف الهجائية... ألا ترى أنت هذا؟

– بكل تأكيد.

– إذن يجب أن ننظم أنفسنا لمقاومته.

– ألديك اقتراح في هذا الشأن؟

– ما دمنا نحن أقارب المجني عليهم سنجتمع الليلة هنا، فلماذا لا نكوّن فيما بين أنفسنا فرقة خاصة تعاون رجال المباحث في الإيقاع بالمجرم الرهيب؟

– فكرة جيدة، وهل تقترح أن تنضم الآنسة "جراي" إلى هذه الفرقة على الرغم من أنها ليست قريبة لأحد المجني عليهم؟ فاضطرم وجه "كلارك"، وقال:

– أعتقد أنها ستعاوننا كثيرا؛ لأنها عملت مع أخي سنتين، وهي تعرف المناطق المجاورة لمسرح الجريمة الأخيرة معرفة تامة، كما تعرف معظم المقيمين

فيها بصفة دائمة. أما أنا فقد كنت غائبا عن البلاد فترة طويلة تبلغ نحو عام ونصف العام.

– كنت في "**الشرق**". في "**الصين**"؟ أليس كذلك؟

– بلى... كنت أشتري لأخي مجموعات التحف الخزفية الثمينة التي تعرض في الأسواق العالمية، لاسيما في "**الصين**" نفسها. وبعد نصف الساعة، كنا جميعا نجلس حول مائدة الاجتماع، وكانت الفتيات الثلاث يختلفن من ناحية المظهر والشكل اختلافا كبيرا. فـ"**تورا جراي**" صارخة الجمال، ناصعة البياض، و"**ميجان برنارد**" خمرية ذات شعر أسود أثيث ووجهها الجامد التعبير شبيه بوجوه الهنود الحمر، و"**ماري دراور**" بثوبها الأسود المتواضع، ووجهها الذي ينم عن البراءة والذكاء، أما الرجلان، "**فرانكلين كلارك**" بجسمه الكبير، ووجهه الملوح، ولباقته في الحديث، فقد كان يختلف كثيرا عن "**دونالد فريزر**" الهادئ الرزين الخجول، وبدأ "**بوارو**" يتحدث قائلاً:

– أيها السادة والآنسات.. أنتم تعرفون الغرض من اجتماعنا هنا، فعلى الرغم من أن رجال الشرطة لا يألون جهدا في أداء واجبهم للقبض على ذلك المجرم المجهول، إلا أنني أعتقد أن اتحادنا – نحن أصحاب الشأن في هذه الجرائم – قد يؤدي إلى كشف بعض الغموض الذي يكتنف هذه الجرائم. وبعد فترة صمت استطرد يقول:

– نحن الآن أمام ثلاث جرائم راح ضحيتها سيدة عجوز، وفتاة في ميعة الصبا، ورجل كهل... ولا يربط بينهم جميعا إلا أن الجاني عليهم رجل واحد، وهذا يعني أن هذا الشخص الواحد كان موجودا في أماكن الجرائم

الثلاث وليس من شك أيضا في أن الشخص – وقد يكون امرأة – على جانب كبير من الدهاء على الرغم من اختلال عقله، وذلك لأنه استطاع حتى الآن أن يفلت من أيدينا، ودون أن يترك وراءه أي أثر يقودنا إليه. وصمت "بوارو" هنيهة أخرى قبل أن يستطرد قائلا:

– إلا أن هناك معالم يمكن أن تحدد شخصية ذلك المجرم المجهول، فمثلاً، إنه لم يذهب إلى "**بكسهيل**" في منتصف الليل ثم يجد أمامه فتاة يبدأ اسمها بالحرف "**ب**" على الشاطئ جاهزة للقتل... لابد أنه كان هناك نوع من التمهيد وحرية الاختيار، أي لابد أنه قام بعملية استطلاعية لمسرح الجريمة... كان عليه أولا أن يتأكد من بعض الحقائق... وكان عليه أن يحدد أفضل وقت يرتكب فيه جريمة "**أندوفر**"، وكان يعرف خير مكان يرتكب فيه جريمة "**بكسهيل**"، وأن يلتزم بعادات السيد "**سيرميكال كلارك**"، ولهذا كله أعتقد أنكم في مجموعكم تعرفون أشياء في قرارة أنفسكم دون أن تدركوا أنكم تعرفونها. ولما ارتسمت الدهشة وعدم الفهم على وجوهنا جميعا، ابتسم "**بوارو**"، وقال:

– إن العقل قد يختزن معلومات غامضة لا تظهر إلا بالحديث والمناقشة. وإذا كان موضوع المناقشة محددا، فربما كان في ذهن كل منكم جزء معين بشأن هذا الموضوع، والحديث وحده هو الذي يجمع هذه الأجزاء لكي تتضح جميعا في صورة واحدة، ولهذا أرجو من كل منكم أن يعتصر ذاكرته ليتذكر كل ما يمكن أن يتذكره قبل وقوع كل جريمة.. ولنبدأ بالسيد "**كلارك**"؛ فقال "**كلارك**" وهو يمر بيده على جبينه:

– ماذا فعلت في صباح اليوم الذي قتل فيه أخي؟ آه! ذهبت للصيد في

زورق شراعي، وقد اصطدت ثماني سمكات كبيرة من نوع "الماكريل"، وكان الجو صحوا.. وعدت إلى البيت في موعد الغداء ونمت... ثم استيقظت وشربت الشاي، وكتبت بعض الرسائل، وفاتني وضعها في الصندوق في الموعد المناسب ، فركبت السيارة إلى بلدة "بابيتون" لأصدرها، وعدت في موعد العشاء... وإني لأشعر بالخجل حين أقول: إنني قرأت للمرة الثانية كتاب (مغامرات "نسبيت") الذي كنت مشغوفا به منذ عهد التلمذة، ثم رن جرس التليفون... فقال "بوارو" مقاطعا:

– لا داعي لأن تذكر ما حدث بعد هذا لأنه لا يهم... المهم هو أن تذكر هل رأيت أحدا وأنت في طريقك إلى الصيد صباحا؟

– كثيرا من الناس.

– هل يمكنك أن تتذكر شيئا عنهم أو عن بعضهم؟

– لا شيء الآن. والتفت "بوارو" إلى الآنسة "جراي"، وقال لها:

– وأنت يا آنسة "جراي"؟ فقالت بصوتها الواضح الرزين:

– فرغت مراسلات السيد "سيرميكال" في الصباح، وتحدثت إلى مديرة البيت في البرنامج اليومي، وكتبت بعض الرسائل، وانشغلت بعد الظهر ببعض أشغال الإبرة، والواقع أنني من العسير أن أذكر كل شيء فقد كان اليوم من الأيام الرتيبة العادية، وأخيرا أويت إلى فراشي في ساعة مبكرة.

– وأنت يا آنسة "برنارد"، ألا يمكن أن تتذكري ماذا حدث في آخر مرة رأيت فيها أختك؟

– رأيتها قبل وفاتها بأسبوعين... وكنت قد عدت إلى البيت؛ لأقضي نهاية الأسبوع – يومي السبت والأحد – وكان الجو لطيفا، فذهبنا إلى

المصيف حيث سبحنا.

– وعن أي شيء كان حديثكما معظم الوقت؟

– عنفتها كثيرا على ميلها إلى اللهو والعبث بلا تحفظ.

– وماذا أيضا؟ عن أي شيء كان حديثها هي؟

– تحدثت عن ضيق ذات يدها، وعن قبعة جديدة، وفستانين للصيف، وعن "**دونالد**" قليلاً... وقالت أيضا إنها لا تحب زميلتها في العمل "**ميللي هيجلي**"، وضحكنا كثيرا على تصرفات آنسة "**مارون**" مديرة المقهى،ثم... لا أتذكر أكثر من هذا.

– معذرة يا سيد "**فريزر**"... ألم تذكر لك أختك يا آنسة "**برنارد**" أي شيء عن رجل ما كانت تنوي أن تقابله؟ فقالت "**ميجان**" بصوت جاف:

– إنها ما كانت لتجرؤ أن تقول لي شيئا من هذا القبيل. واستدار "**بوارو**" إلى "**دونالد فريزر**" بشعره الأحمر وقال:

– السيد "**فريزر**"... عندما ذهبت لانتظار "**بيتي**" حتى تخرج من المقهى، ألم تشاهد أحدا لفت نظرك بصفة خاصة؟

– لم أشاهد، فقد كان المصيفون كثيرين.

– ألم يلفت نظرك شخص معين منهم؟ حاول أن تتذكر. فقال الشاب بعناد:

– لم أرَ غير أشخاص عاديين، ولم يكن بينهم واحد يلفت النظر.

– وأنت يا "**ماري دراور**".. أعتقد أن خالتك كانت تراسلك؟

– أجل يا سيدي.

– متى أرسلت إليك آخر رسالة؟ ففكرت "**ماري**" هنيهة قبل أن تجيب قائلة:

- قبل وفاتها بيومين.

- وماذا قالت فيها؟

- قالت: إن الشيطان الهرم - تعني زوجها - حاول أن يبتز منها مبلغا من المال زيادة على المبلغ المتفق عليه، ولكنها أفزعته وجعلته يهرب من وجهها، وإنها كانت تتوقع حضوري إليها يوم الأربعاء - يوم عطلتي الأسبوعية- لنذهب معا إلى السينما - وكان ذلك يوم عيد ميلادي أيضا يا سيدي - وطفرت الدموع في عيني "ماري" ولكنها سرعان ما تمالكت نفسها وقالت:

- معذرة يا سيدي.. لقد غلبني الحزن على أمري وإن بعض الذكريات...

فقال "كلارك":

- أنا أدرك شعورك يا آنسة "دراور" فإن بعض الذكريات العادية قد يكون لها أكبر الأثر في النفس.

وهنا هتفت "ميجان" قائلة بشيء من الحماس:

- هذه هي الحقيقة... نعم... هذا ما يحدث حقًّا. لقد حدث الشيء نفسه لأمي، ذلك أن أمي كانت قد اشترت جوربين لتقدمهما إليها هدية... اشترتهما في يوم مصرعها، وقد رأيت أمي بعد ذلك، وهي تمسك بالجوربين وتبكي بحرارة وتقول: اشتريت هذين لـ"بيتي"! ولكنها لم ترهما... وبادرت "تورا جراي" إلى تغيير مجرى الحديث قائلة:

- ألا تفكر في وضع خطة معينة للمستقبل؟ فقال "بوارو":

– إن لدي بعض المقترحات، وأعتقد أن الجرسونة "**ميللي هيجلي**" ربما تعرف شيئًا قد يفيدنا في هذا الموضوع.

فقال "**كلارك**" وهو يكتب:

– "**ميللي هيجلي**".

– وأقترح طريقتين لاستدراجها إلى الحديث، إما أن تثيرها الآنسة "**ميجان**" حتى تدفعها إلى الإفضاء بكل ما تعرفه عن "**بيتي**". وعندئذ قد نعرف الرجل المجهول الذي قيل إنها تنزهت معه مرتين، وإما أن يتقرب السيد "**فريزر**" إليها ويتظاهر بمغازلتها، ويستدرجها للحديث عن "**بيتي**" في هذا الشأن. وهنا قال "**دونالد فريزر**":

– هل هذا إجراء ضروري؟

– لا؛ ليس ضروريا.. ولكنه مجرد محاولة. وعندئذ أسرع "**فرانكلين كلارك**" يقول:

– هل أجرب أنا هذه الطريقة مع "**ميللي هيجلي**" يا سيد "**بوارو**"؟ فإن لي وسائلي الخاصة في الحديث الجذاب إلى الفتيات. وقالت "**تورا جراي**" بحدة:

– وهل لديك وقت فراغ كاف للقيام بمثل هذه المحاولات؟ فتلاشت الابتسامة من وجه "**فرانكلين**"، وقال متراجعا:

– آه! صدقت يا "**تورا**".. إن أعمالي كثيرة في هذه الأيام. وقال "**بوارو**":

– أعتقد أنه لا يوجد شيء كثير يحتاج إلى اهتمام خاص في البيت يا سيد "**كلارك**"، وربما كان في مقدور الآنسة "**جراي**" أن تحل محلك في

القيام.... فقاطعته "**تورا جراي**" بقولها:

– ولكني تركت عملي في قصر السيد "**سيرميكال كلارك**".

– آه! لم أعرف هذا. وقال "**فرانكلين كلارك**":

– من الطبيعي أن تفضل الآنسة "**جراي**" البحث عن عمل مناسب في "**لندن**"، بعد وفاة أخي.

فتنقل "**بوارو**" بنظراته الحادة بين الاثنين، ثم قال فجأة:

– كيف حال السيدة "**كلارك**"؟ واضطرم وجه "**تورا جراي**"، بينما قال "**فرانكلين كلارك**":

– في أسوإ حال، وبهذه المناسبة، هل يمكنك يا سيد "**بوارو**" أن تذهب لمقابلتها؟ لقد أعربت عن رغبتها في ذلك.

– بكل تأكيد يا سيد "**كلارك**"... هل يمكن أن أقوم بزيارتها بعد غد؟

– حسنًا... لسوف أخبر الممرضة بذلك حتى تعدها لمقابلتك. واستدار "**بوارو**" إلى "**ماري دراور**" وقال:

– أعتقد يا آنسة "**دراور**" أن في مقدورك أن تقدمي إلينا خدمة إذا ذهبت وتحدثت إلى بعض الأطفال من جيران خالتك في "**أندوفر**"؛ إذ من المحتمل جدًّا أن يكون أحدهم قد رأى شخصا غريبا عن البلدة، وهو يدخل دكان خالتك أو وهو يحوم حوله.

*****

- 11 -

كان طابع الحزن واضحا على قصر السيد "**سيرميكال كلارك**"، عندما ذهبنا في الموعد المحدد لمقابلة السيدة "**كلارك**"، ولعل جو شهر أيلول (سبتمبر) المقبض كان له أثر في شعورنا بذلك الطابع الحزين المخيم على القصر. أقبلت ممرضة محترفة ينم مظهرها عن الكفاءة، وقالت:

– السيد "**بوارو**"؟ أنا الممرضة "**كابستيك**"، وقد تلقيت رسالتك التي حددت فيها موعد حضورك لزيارة السيدة "**كلارك**".

– أرجو أن تكون في حالة صحية تسمح بمثل هذه الزيارة.

– الواقع أن حالتها الصحية أحسن قليلا.

– اسمحي لي أن أوجه إليك هذا السؤال يا آنسة "**كابستيك**". هل كانت السيدة "**كلارك**" شديدة التعلق بزوجها؟

– أجل... كان الاثنان زوجين سعيدين، ولا عجب أن شعر المسكين السيد "**سيرميكال كلارك**" بأشد الحزن عليها حين علم حقيقة مرضها... ويمكن القول إن أحزانه بسببها كانت بالغة جداً في أول الأمر.

– في أول الأمر؟ وبعد ذلك؟

– لا تنسَ أن الإنسان يتعود كل شيء، حتى على المرض المزمن... وقد اعتاد السيد "**كلارك**" مرض زوجته فخفت أحزانه بعد الصدمة الأولى، ثم لا تنسَ هوايته في جمع الخزف الثمين، ومع الهواية عزاء للإنسان في مثل هذه الكوارث، لقد كانت تشغله كثيرا، لاسيما عندما يذهب إلى المزادات الكبيرة في "**لندن**"، أو عندما يقضي الساعات الطوال مع الآنسة "**جراي**"

في تصنيف المجموعات وترتيبها.

– آه. الآنسة "**جراي**"... لقد تركت الخدمة هنا كما علمت!

– نعم... وإنه لأمر يدعو إلى الأسف... ولكن للزوجة عذرها، لاسيما إذا كانت مريضة حين يمتلئ رأسها بالهواجس والشكوك، وإني لشديدة الإعجاب بالآنسة "**جراي**" إذ رفضت أن تناقش السيدة "**كلارك**"، واعتزلت الخدمة فورا.

– إذن فالسيدة "**كلارك**" هي التي أمرت بطردها؟

– بالتأكيد.

– هل كانت تكرهها دائما؟

– لا... لم تكن لتكرهها في أول الأمر، بل على العكس، كانت تميل إليها، حسنا، كفى ثرثرة من جانبي الآن... إن السيدة "**كلارك**" في انتظاركما، وصعدنا معها إلى غرفة بالطابق الأول، وكانت غرفة لطيفة جيدة الأثاث، وقد رأينا فيها السيدة "**كلارك**" جالسة على مقعد وثير بالقرب من النافذة.. وكان وجهها الشاحب ينم عن الألم والإرهاق، كما كانت شاردة زائغة النظرات. قالت لها الممرضة:

– هذا هو السيد "**بوارو**" الذي طلبت أن يزورك. فقالت السيدة في غموض وذهول:

– آه! نعم.. نعم... السيد "**بوارو**". ولما صافحته، قال يقدمني:

– هذا صديقي الكابتن "**هاستنجز**" يا سيدة "**كلارك**".

– كيف حالك يا كابتن "**هاستنجز**"؟ إنني لسعيدة بزيارتكما. وجلسنا على مقعدين بالقرب منها... ولاح لي أنها استغرقت فجأة في غيبوبة،

ولكنها لم تلبث أن هزت رأسها كأنما تفيق من حلم، ثم تقول:

– إننا سنتحدث عن زوجي.. أليس كذلك؟ عن مقتل زوجي...! ثم تنهدت وهي تهز رأسها، كأنما تتحدث إلى شخص مجهول، واستطردت تقول:

– من كان يظن أن نهايتنا ستكون هكذا... نهايته ستكون قبل نهايتي؟ ولكنها الدنيا. ومرة أخرى، عادت تقول وكأنما تحدث نفسها:

– لم أكن لأصدق قط أنه سيموت وهو في الستين.. لقد كان يتمتع بصحة جيدة، ومن يراه كان يحسبه في الأربعين من عمره... ولكن. وبعد لحظة صمت أخرى طويلة، قالت فجأة:

– نعم... إني شاكرة لكما تفضلكما بالحضور، لقد طلبت من "**فرانكلين**" أن أراك يا سيد "**بوارو**" ووعدني بأن يبلغك رغبتي. وكل ما أرجوه ألا يرتكب حماقة من هذه الحماقات التي يندم عليها الرجل فيما بعد.. لاسيما في مسألة الزواج؛ إنه على الرغم من بلوغه الأربعين من العمر، سهل الانقياد... وأعتقد أن معظم الرجال هكذا أمام الفتيات الجميلات... وهذا يدل على أنهم أطفال في أعماق نفوسهم، ولاسيما "**فرانكلين**"... إنه دائما طفل على الرغم من مرور الأعوام. فقال "**بوارو**":

– أعتقد أنه مندفع بطبيعته!

– أجل... أجل... إنه مندفع، وعلى جانب كبير من الشهامة، لاسيما مع الفتيات، وأنا أعتبر أن هذه ليست شهامة، وإنما هي حماقة.. وهكذا كان زوجي أيضا. ثم التفتت نحو "**بوارو**"، وسألته فجأة:

– ألم تقبضوا على القاتل؟

– نعم... لم نقبض عليه بعد.

– لابد إذن أنه كان يتسكع بالقرب من القصر في ذلك اليوم.

– إننا في موسم الاصطياف يا سيدة "كلارك"، والغرباء عن البلدة يكثرون بطبيعة الحال.

– أجل... أجل نسيت هذا، ولكنهم عادة يبقون عند الشواطئ ولا يصعدون إلى المنازل.

– لم يقترب من المنزل أحد الغرباء في ذلك اليوم يا سيدة "كلارك" على كل حال. فقالت السيدة بحماس مفاجئ:

– من قال هذا؟! فأجاب "بوارو" مدهوشا:

– الخدم... والآنسة "جراي".

– هذه الفتاة كاذبة... وحملقت إلى السيدة "كلارك" مدهوشا بدوري، بينما استطردت وهي تقول:

– إنني لا أحبها، ولم أحبها قط.. وكان زوجي شديد الإعجاب بها وبكفاءتها وكان يقول دائما: إنها فتاة يتيمة وحيدة في الحياة. وما عيب اليتم؟! إنه أحيانا يكون رحمة وبركة؛ عندما يكون للأبناء والد سكير عربيد فاسد الأخلاق وأم بلهاء... وحاولت الممرضة أن تهدئ ثائرتها، ولكن السيدة "كلارك" استطردت قائلة:

– لقد أمرت بفصلها من الخدمة بعد وفاة زوجي مباشرة، والعجيب أن "فرانكلين" حاول بكل وقاحة أن يبقيها ويقنعني أنها قد تكون ذات فائدة لي... إنه أحمق، ومندفع! إنه طفل في قرارة نفسه، وأنا لا أريد أن يختلط بفتاة ذات أهداف بعيدة مثلها... لقد أمرت بإعطائها مرتب ثلاثة أشهر،

وإخراجها من البيت فورا.

- لماذا قلت إنها كاذبة يا سيدة "**كلارك**"؟

- لأن هذه هي الحقيقة... ألم تقل إنه لم يقترب أحد من الغرباء من القصر في ذلك اليوم؟

- بلى!

- حسنًا جدًّا! لقد رأيتها بنفسي... بعيني هاتين من هذه النافذة، تتحدث إلى رجل غريب تماما عن الناحية، أمام مدخل البيت.

- متى كان هذا؟

- في صباح اليوم الذي قُتل فيه زوجي... في نحو الساعة الحادية عشرة صباحًا.

- وماذا كان شكل الرجل؟

- كان رجلا رقيق الحال كما بدا من ملابسه. واختلج وجهها بألم مفاجئ، فقالت الممرضة لنا:

- أرجو أن تتركاها الآن لتستريح. وأطعنا الرجاء... وخرجنا. وقلت لـ"**بوارو**" ونحن في طريق العودة إلى "**لندن**":

- هذه حكاية غريبة جدًّا... أعني حكاية الآنسة "**جراي**" والرجل الغريب.

- أرأيت يا "**هاستنجز**" أن كل شيء يثبت ما كنت أقوله لك كثيرا، وهو أنه لابد أن يحدث أمر ما ينير السبيل أمام العدالة. ووصلنا أخيرا إلى مسكنه في عمارات "**هوايت هافن**"، وقبل أن ندخل المسكن سمعت طرقات ساعي البريد على صندوق "**بوارو**" الخاص، توجهت حيث

الصندوق وما كدت أتناول الرسالة التي وجدتها فيه حتى انطلقت عائدا إلى "**بوارو**" وأنا أهتف قائلاً:

- لقد وصلت... الرسالة الرابعة. واختطف الرسالة وفضها، وقرأ فيها ما يلي بصوت مسموع:

« يالك من مسكين يا "**بوارو**"؟! إنني حزين من أجلك.

يجب أن تتحرك يا رجل... فإن الطريق ما زال طويلا أمامنا.

هل سيكون مسرح الجريمة التالية مدينة "**تيبرري**".

لا.. لا.. إن هذا الحرف لا يزال بعيدا.

إذن ليكن موعدنا في بلدة "**دوناستر**" في الحادي عشر من هذا الشهر... وداعًا».

- 12 -

لم يكن في مقدور "**بوارو**"، أو رجال المباحث أن يفعلوا شيئا قبل وصول الرسالة الرابعة، وما إن وصلت الرسالة الرابعة، حتى انطلقت جميع القوى، ككلاب الصيد، لمطاردة الفريسة. لقد أسرع المفتش "**كروم**" بالقدوم إلى مسكن "**بوارو**" من إدارة "**اسكتلانديارد**"، وبينما هو يبحث الموضوع معه، أقبل "**فرانكلين كلارك**" و"**ميجان برنارد**"... وقال "**كروم**" لـ"**بوارو**":

- سوف آخذ هذه الرسالة معي يا سيد "**بوارو**"... يمكنك أن تحتفظ بنسخة منها إذا شئت.

- لا ... لا داعي لهذا. وسأل "**فرانكلين**" المفتش "**كروم**" قائلاً:

- ماذا تنوي أن تفعل يا سيد "**كروم**"؟

- إن اليوم الحادي عشر من الشهر يوافق يوم الأربعاء من الأسبوع التالي، وهي فترة كافية لنثير اهتمام الرأي العام ونجعل الجميع يتعاونون معنا لمطاردة هذا المجنون، ولا شك أن كل مخلوق يبدأ اسمه بالحرف "**د**" سيكون على حذر.. فقال "**فرانكلين كلارك**":

- من السهل أن يعرف الإنسان أنك رجل لا تهوى الألعاب الرياضية يا سيدي المفتش.

- ماذا تعني يا سيد "**كلارك**"؟

- لأنك لا تعرف أن يوم الأربعاء التالي هو يوم الحفلة الرياضية السنوية في "**دوناستر**"، وأن سباق الخيل المعروف باسم "**سانت ليجير**" سيجرى في ذلك اليوم.

- آه! نعم... هذا حق.

- إن "**أ. ب. س**" ليس بالرجل الأبله، وإن كان مجنونا. وخيم الصمت علينا هنيهة، كنا خلالها نتصور بلدة "**دوناستر**" وهي تزدحم بجموع هواة الرياضة وسباق الخيل الوافدين من كل حدب وصوب. وقال "**كلارك**" أخيرا:

- أعتقد أن الجريمة ستتم في حلبة سباق الخيل، وربما أثناء انطلاق الجياد في مضمار السباق. فنهض المفتش قائلا:

- هذا من سوء الحظ، وتناول قبعته وانصرف. وسمعناه يتبادل الحديث في الردهة الخارجية مع شخصية نسائية، ولم تلبث "**تورا جراي**" أن أقبلت

قائلة بأنفاس لاهثة:

– أخبرني المفتش "كروم" بأن رسالة أخرى قد وصلت! وأجاب "**فرانكلين كلارك**":

– إنها بلدة "**دونكاستر**" هذه المرة، وفي اليوم الحادي عشر من هذا الشهر، أي في عيد "**سانت ليجير**"؛ فتنهدت "**تورا جراي**" وقالت:

– لو أننا نعرف شيئا عن القاتل فقط؟ لو أننا نعرف فقط ما إذا كان طويلا أم قصيرا، هرما أم شابا؟ وفجأة قال لها "**بوارو**":

– بهذه المناسبة يا آنسة "**جراي**"، هل أنت واثقة تماما بأنك لم تري شخصا غريبا بالقرب من المنزل في يوم مقتل السيد "**سيرميكال كلارك**"؟!

– نعم... كل الثقة.

– عجبا! ولكن السيدة "**كلارك**" شاهدتك من نافذتها وأنت واقفة أمام مدخل القصر تتحدثين إلى رجل غريب.

– لابد أن تكون السيدة "**كلارك**" واهمة... أوه! ولكن.. واضطرم وجه "**تورا جراي**"، وقالت بسرعة:

– لقد تذكرت... تذكرت... يالي من حمقاء! الواقع أنني نسيت هذا الرجل، ولكني أعتقد أنه ليس للأمر هذه الأهمية كلها، إنه مجرد مندوب لبيع الجوارب، رجل من المحاربين القدماء الذين يكتسبون رزقهم ببيع بعض منتجات الشركات، وكان قد اعترض سبيلي وأنا في طريقي إلى مدخل القصر، ولكنني اعتذرت له ولم أشترِ منه شيئا... إنه رجل مسالم هادئ من النوع الذي لا يترك في النفس أي أثر. وكان "**بوارو**" في تلك اللحظة

يضع رأسه بين يديه، ويهتز إلى الأمام وإلى الخلف وهو يتمتم لنفسه: «جوارب... جوارب... جوارب... ولا شيء غير الجوارب، منذ ثلاثة أشهر سمعت هذه الكلمة... وسمعتها منذ أيام... وهأنذا أسمعها الآن... وانتصب في جلسته، ورمقني بنظرة حادة، وقال:

– أتتذكر يا "**هاستنجز**" عندما كنا في "**أندوفر**"، وعندما دخلنا الحانوت، وصعدنا إلى غرفة السيدة "**آسكر**" الواقعة خلفه، ورأينا على المقعد زوجا من الجوارب الجديدة، وإني لأذكر الآن أنني اهتممت لسبب ما عندما حدثتني يا آنسة "**برنارد**" عن والدتك التي اشترت زوجين من الجوارب لأختك "**بيتي**"، وعن بكائها الحار؛ لأنها– أي "**بيتي**" – ماتت قبل أن تراهما... وكان ذلك في يوم الحادث نفسه. توقف "**بوارو**" عن الحديث فجأة، ثم راح يدور بعينيه في وجوهنا قبل أن يستطرد قائلا:

– أترون؟ لقد تكرر هذا الأمر ثلاث مرات، فلا يمكن أن يكون مجرد مصادفة... والآن، أخبريني يا آنسة "**برنارد**"، هل اشترت والدتك الجوارب من متجر أو من بائع متجول؟

– من بائع متجول... وإني لأتذكر حديثها عن أولئك المندوبين البؤساء الذين يدورون على المنازل لبيع منتجات بعض الشركات والمصانع. وهنا هتف "**فرانكلين كلارك**" قائلا:

– ولكن ما العلاقة بين بائع جوارب متجول وهذه الجرائم الرهيبة يا سيد "**بوارو**"؟

فقال "**بوارو**" بحماس:

– سأقول لكم أيها الأصدقاء.

لقد وقعت ثلاث جرائم، وقبل وقوع كل جريمة كان ثمة رجل يبيع الجوارب في مسرحها، فما معنى هذا؟ معناه أنه كان يستكشف الميدان الذي سترتكب فيه الجريمة. ثم استدار نحو "تورا جراي"، وقال بسرعة:

– صفي لنا ذلك الرجل يا آنسة "جراي"؟ فارتسمت الحيرة على وجه "تورا جراي"، وهي تقول:

– إنني... لا أدري تماما... كان رجلا عاديا... فوق الأربعين... يضع النظارة على عينيه، ويرتدي معطفا قديما.

– وماذا أيضًا يا آنسة "جراي"؟

– لم أرَ الشيء الكثير من ملامحه، المهم أنه رجل من النوع الذي لا يترك في النفس أي أثر؛ فأومأ "بوارو" برأسه وقال:

– صدقت يا آنسة... إن هذا الرجل هو القاتل فعلا، إنه الشخصية الواهنة التي لا تثير انتباه أحد، فأرادت أن تثبت وجودها بهذه الجرائم الرهيبة.

- 13 -

وقال المفتش "كروم" لمساعده:

– اكتب لي قائمة بأسماء جميع منتجي الجوارب النسائية. ثم اتصل بمديريها واعرف منهم أسماء جميع مندوبي البيع الذين يتعاملون معهم، وأعني بهم أولئك المندوبين المتجولين.

– أهذا كله يتعلق بجرائم "أ. ب. س"؟ فقال المفتش "كروم" على

مضض:

– أجل... إنها فكرة "**بوارو**"... وربما لا تنتهي إلى شيء، ولكن يجب علينا ألا نهمل أية فكرة معقولة. وقال الشاب "**توم هارتيجان**" لخطيبته "**ليلي ماربري**" وهما يتنزهان معا:

– لقد رأيت في هذا الصباح نزيلكم الهرم العجيب.

– من تعني؟ السيد "**سوست**"؟ الذي يستأجر غرفة عندنا؟

– نعم، وقد رأيته في بلدة "**أوستن**" يبدو كالدجاجة الضالة كالمعتاد، أعتقد أن هذا المسكين نصف مجنون، ولابد أن يكون معه أحد يرعاه في الخارج. لقد سقطت من يده الصحيفة أولا، ثم سقطت منه تذكرة السفر دون أن يشعر إطلاقا، فلما أعدتهما إليه، شكرني في اضطراب ولكنني أعتقد أنه لم يتعرفني.

– إنه لم يرك إلا نادرا يا "**توم**"... ولكن ماذا كنت تفعل في "**أوستن**"؟

– كنت في طريقي منها إلى "**شلتام**"، وهكذا كان أيضا السيد "**سوست**"... لا... كانت تذكرة سفره تدل على أنه ذاهب إلى "**دوناستر**".

– بل "**شلتام**".

– **دوناستر**".. لقد قرأت اسم هذه البلدة بوضوح على التذكرة.

– ولكنه قال لي ولأمي عند انصرافه صباح اليوم من البنسيون إنه ذاهب إلى "**شلتام**".

– ربما سمعتما الاسم خطأ... ولعله ذهب ليتفرج على سباق الخيل.

– ولكن "**دوناستر**" هي البلدة التي ستحدث فيها الجريمة الرابعة غدا...

– لا تجزعي عليه... إن اسمه لا يبدأ بالحرف "د".

– والعجب أنه كان في "**توركاي**" بالقرب من "**سيرستون**" في المرة السابقة.

– إنها مصادفة عجيبة... أليس كذلك؟

وكان الاثنان يتمشيان على طريق نهر "**التيمز**"، عندما أردف "**توم هارتيجان**" قائلا وهو يضحك:

– ولعله كان أيضا في بلدة "**بكسهيل**" وقت وقوع الجريمة الثانية.

فقطبت "**ليلي**" حاجبيها مفكرة، ثم قالت:

– كان غائبا عن غرفته فعلا، وأنا أذكر هذا؛ لأنه كان قد نسي ثوب السباحة وكانت أمي ترتقه له، وقد قالت لي في اليوم التالي: لقد نسي السيد "**سوست**" ثوب السباحة الذي كان ينوي أن يأخذه معه، هل سمعت بالفتاة التي وجدت مخنوقة على شاطئ البحر في "**بكسهيل**" أمس؟ وهنا ابتسم "**توم هارتيجان**"، وقال:

– مادام كان ينوي أن يأخذ معه ثوب السباحة، فلا شك أنه ذهب إلى أحد المصايف يوم ذاك. ما رأيك فيما لو كان نزيلكم الهرم هذا هو القاتل "أ. ب. س"؟ فضحكت "**ليلي**" وقالت:

– السيد "**سوست**" المسكين؟ إنه لا يستطيع أن يؤذي ذبابة!

- 14 -

غمغم السيد "**ليدبتر**" بخفوت وامتعاض عندما نهض الرجل الجالس بالقرب منه في دار السينما، وسار في طريق الخروج وهو يتخطاه متعثرا ثم

يزداد تعثرا، وتسقط قبعته على المقعد الأمامي، فينحني ويلتقطها، وينصرف. كل هذا ضيع بعض لحظات ثمينة من مناظر فيلم "**العصفور**" الذي كان السيد "**ليدبتر**" ينتظر مشاهدته بفارغ الصبر، وتململ السيد "**ليدبتر**" في مقعده، وهو يسائل نفسه: «لماذا لا ينتظر هؤلاء الناس حتى نهاية الفيلم قبل أن ينصرفوا؟!» ولم يكن من عادته أن يسرع بمغادرة دار السينما عقب انتهاء الفيلم، وإنما كان يحب أن يتمهل حتى يعود إلى واقع الحياة تماما. وتلفت حوله.. إن الصالة لم تكن مزدحمة... كان المتفرجون فيها عددا قليلا جدًّا... آه لا شك أن معظم الناس كانوا في تلك الساعة يتفرجون على سباق الخيل احتفالا بعيد "**سانت ليجير**"! واستعد السيد "**ليدبتر**" للخروج وراء المتفرجين الذين كانوا يتسابقون إلى أبواب السينما، ولاحظ أن الرجل الجالس على المقعد الأمامي بالنسبة إليه، ظل جالسا، مطرق الرأس، وكأنه مستغرق في النوم. وشعر السيد "**ليدبتر**" بالسخط على مثل هذا الرجل الذي ينام أثناء عرض فيلم رائع مثل "**العصفور**"! وهز كتفيه، وسار في طريق الباب... ولما وصل إليه، راح ينتظر دوره للخروج... ولم يدرِ لماذا التفت وراءه إلى حيث كان الرجل جالسا. وعلى أية حال فقد رأى جمعا من الناس حول ذلك الرجل الذي ظنه نائما في مقعده، وتردد هنيهة، ثم خرج... وهكذا فاتته فرصة الفرجة على الحادث الذي أقام الرأي العام وأقعده في جميع أنحاء البلاد.

لقد تبين لمدير الصالة حين هز الرجل الذي ظنه – هو أيضا – نائما، أنه مقتول بطعنة سكين في القلب. واجتمع حوله بعض النظارة الذين لم يكونوا قد انصرفوا بعد... وساد الفزع الجميع حين هتف أحدهم مشيرا

إلى دليل "أ. ب. س" للسكة الحديد الموضوع بجانب القتيل:

– لقد ارتكب المجرم المجنون جريمته الرابعة! غادر السيد "**سوست**" سينما "**ريجال**" وتطلع إلى السماء. كان الجو في ذلك المساء صحواً، جميلا. سار في طريقه مبتسما حتى وصل إلى فندق "**بلاك سوان**" الذي كان ينزل فيه بمدينة "**دوناستر**". وصعد السلم إلى غرفته الصغيرة الخانقة المطلة على فناء داخلي يستخدم "جراجا" للسيارات. واختفت البسمة فجأة من وجهه حين لمح على كم معطفه بعد دخوله الغرفة آثار دماء، ولما لمسها وجدها لا تزال رطبة... دماء رطبة: ودس يده في جيب المعطف، فإذا هي ممسكة بسكين حادة طويلة النصل، ملوثة بالدماء أيضا. ودار بعينيه في أنحاء الغرفة كحيوان وقع في الفخ، ووقعت نظراته على حوض الاغتسال، فنهض إليه وخلع معطفه، وملأ الحوض بالماء، وراح يغسل كم المعطف مما فيه من دماء، لقد غدا الماء أحمر اللون، وفي تلك اللحظة سمع نقرا على الباب... وتسمر في مكانه لا يريم، وقد راح يحملق فيما أمامه ببلاهة، وفتحت الباب سيدة شابة ممتلئة الجسم... ودخلت تحمل إبريقا وتقول:

– معذرة يا سيدي.. هذا هو ماؤك الساخن. واستطاع أخيرا أن يقول لها:

– شكرا لقد اغتسلت بالماء البارد، ولما رأى نظراتها تقع على الماء الأحمر في الحوض، قال في فزع:

– لقد جرحت يدي. وبعد لحظة طويلة، طويلة جداً من السكون، قالت:

– حسنًا يا سيدي. ووقف السيد "**سوست**" في مكانه كتمثال من

الحجر! لقد جاءت النهاية أخيرا... وأرهف سمعه! هل هم قادمون إليه الآن؟ ولكنه لم يسمع غير دقات قلبه المضطرب.

وتحوَّل جموده فجأة إلى حركة دافقة، فارتدى معطفه بسرعة، وسار على أطراف أصابعه إلى الباب وفتحه، ثم أرهف السمع مرة أخرى، ثم هبط متسللا إلى السلم، وعند نهايته وقف حائرا، وفجأة لمح الباب الخلفي المؤدي إلى الفناء، فانفلت منه، وظل يتنقل من شارع إلى آخر في اتجاه المحطة، وهو يتمتم:

- لو أن الحظ يساعدني فأستقل القطار دون أن يشعر بي أحد! كان المفتش "كروم" جالسا ينصت إلى حديث السيد "**ليدبتر**" المضطرب:

- أؤكد لك يا سيدي المفتش أن قلبي يهوي بين ضلوعي كلما فكرت في أن القاتل الرهيب كان جالسا بجواري طيلة عرض الفيلم؛ فتذرع المفتش "كروم" بالصبر وقال:

- أرجو أن تحدثني بوضوح. هل تقول: إن ذلك الرجل انصرف قبل نهاية الفيلم؟

- أجل... أجل...

- وهل مرَّ بك وتعثر في أثناء مروره؟

- أجل... إنني أدرك الآن أنه تظاهر بالتعثر، ولا شك أنه طعن الرجل الذي كان جالسا أمامي وهو يتظاهر بأنه يسترد قبعته.

- ألم تسمع شيئا! لا صيحة ولا آهة ولا شيئا ما؟

- ربما سمعت شيئا، ولكنني حسبته من الفيلم.

- هل تستطيع أن تصف لنا هذا الرجل؟

– كان رجلا ضخما يزيد طوله على 180 سم، كان ماردا.

– أشقر أم خمري اللون؟!

– لست واثقا بهذا... ولكنه كان أصلع... رهيب المنظر.

– هل كان يعرج؟

– آه! مادمت قد ذكرتني يا سيدي المفتش، يمكنني أن أقول: إنه كان يعرج فعلا. كان ملوح الوجه كأنه نصف زنجي.

– هل كان موجودا في مقعده قبل بدء عرض الفيلم؟

– لا... لقد حضر بعد البدء بقليل، عندما أظلمت القاعة. وأومأ المفتش "**كروم**" برأسه.. وبعد أن انصرف السيد "**ليدبتر**"، قال لمساعده:

– هذا أسوأ أنواع الشهود... إنه على استعداد لأن يقول أي شيء توحي به إليه، وأكبر الظن أنه لا يعرف أي شيء عن شكل الرجل... وأقبل أحد رجال الشرطة، وقال للمفتش "**كروم**":

– إن السيد "**بوارو**" ومعه سيد آخر يريدان مقابلتك يا سيدي. قطب "**كروم**" جبينه، وقال:

– دعهما يدخلان. ودخلت وراء "**بوارو**" إلى مكتب المفتش "**كروم**". وبعد أن تبادلنا التحية قال المفتش "**كروم**" لـ"**بوارو**":

– لقد ارتكب المجرم المجهول جريمته الرابعة يا سيد "**بوارو**". وتسمرنا في أماكننا من فرط الجزع والدهشة، بينما قال المفتش مستطردا:

– وفي هذه المرة استخدم السكين أداة للقتل.

– وهل وجدتم بجوار القتيل "**أ. ب. س**". للسكة الحديد؟

– أجل...

– وهل عرفتم شخصية القتيل؟

– أجل... لقد أخطأ القاتل المجهول هذه المرة؛ لأن القتيل رجل يدعى "**جورج إيرسفيلد**"... أي أن اسمه لا يبدأ بحرف "**د**"..

– عجبا!

– لنسمع الشاهد التالي، فقد عرفت أنه يريد الانصراف بسرعة. ودخل رجل في منتصف العمر دميم الشكل، مضطرب الأعصاب، حاول أن يعبر عن اضطرابه بالثرثرة، ولكن المفتش "**كروم**" سأله قائلاً:

– اسمك أيها السيد؟

– "**دونز**"... "**روجر دونز**".

– مهنتك؟

– مدرس بمدرسة "**هايفيلد**" الثانوية.

– أخبرنا الآن بما تعرفه عن الحادث يا سيد "**دونز**".

– أستطيع أن أقول لكم ما أعرف بكل إيجاز. عندما انتهى عرض الفيلم، نهضت لأنصرف، وكان بالقرب مني رجل حسبته نائما؛ لأنه كان منحنيًا على نفسه، وكدت أتعثر في قدميه وأنا أحاول المرور أمامه... وفجأة ناديت مدير الصالة حين خطر لي أن الرجل مريض، ولما رفعت يدي عن كتفه رأيتها ملوثة بالدماء، وأدركت فورا أنه طعن بسكين طعنة نافذة إلى القلب، وقد لاحظنا – أنا ومدير الصالة – وجود دليل "**أ. ب. س**" للسكة الحديد على المقعد المجاور، وأؤكد لكم أيها السادة أن قلبي كاد يقف من فرط الفزع؛ وقلبي بطبيعته ضعيف.

ونظر المفتش "**كروم**" إلى السيد "**دونز**"، ثم قال له:

– يمكنك أن تعتبر نفسك سعيد الحظ يا سيد "دونز".

– لماذا يا سيدي؟

– قبل أن أخبرك أريد أن أسألك: هل كنت جالسا على مقربة من الذي قتل؟

– نعم... على مسافة مقعدين منه. وكنت في أول الأمر جالسا بجواره مباشرة، ثم انتقلت إلى مقعد ليس أمامه أحد حتى أرى الفيلم بوضوح.

– إنك في طول الرجل القتيل نفسه، وتلف حول عنقك شملة مثله.

– ولكن، ما علاقة هذا كله يا سيدي؟

– أراهن أن القاتل كان يتبعك إلى دار السينما، وكان ينوي أن يقتلك؛ لأن اسمك الأخير يبدأ بالحرف "د". ولكنك حين انتقلت إلى مقعد آخر أخطأك وقتل السيد "جورج" وهو يحسبه أنت؛ فاستولى على الرجل ذعر شديد وصاح وهو ينهض:

– لا، لا، لا أصدق هذا! لماذا يريد أن يقتلني أي إنسان... هو أو غيره؟ إنني رجل مسالم... لم أسئ إلى أحد قط... هل تريدون مني شيئا آخر؟ لا! حسنا. طاب يومكم أيها السادة، طاب يومكم. واستدعى المفتش "كروم" أحد مساعديه، وقال له:

– "رايس"... أرسل اثنين من رجالنا لحراسة السيد "دونز" دون أن يشعر، فإنني أعتقد أن المجرم المجنون قد يعمد إلى تصحيح غلطته، ويحاول القضاء على هذا الرجل. وأومأ "بوارو" برأسه موافقا، وقال:

– مادام ذلك المجرم قد بدأ يخطئ فلا شك أن أخطاءه سوف تتوالى.

وأقبل أحد رجال الشرطة، وقال:

– في الخارج رجل وسيدة من فندق "**بلاك سوان**" لديهما أقوال يريدان الإدلاء بها في موضوع جرائم "**أ. ب. س**".

– أدخلهما... أدخلهما بسرعة. دخل صاحب فندق "**بلاك سوان**"، وكان رجلا ضخم الجسم يدعى "**بول**" ومعه سيدة شابة ممتلئة الجسم، ينم وجهها عن الانفعال الشديد. قال الرجل بصوت خافت:

– أرجو ألا أضيع وقتكم الثمين أيها السادة، ولكن هذه الفتاة "**ماري**" لديها أقوال مهمة بخصوص المجرم "**أ. ب. س**". فقال المفتش "**كروم**":

– حسنًا يا فتاتي.. ما اسمك؟

– "**ماري**"... "**ماري ستراود**".

– ماذا تريدين أن تقولي يا "**ماري**"؟ فنظرت "**ماري**" إلى صاحب الفندق متسائلة، فقال هذا:

– إن عملها في الفندق هو حمل الماء الساخن إلى النزلاء وكان لدينا سبعة أو ثمانية نزلاء، بعضهم جاء للفرجة على السباق، وبعضهم يقيم لأغراض تجارية والآن... تكلمي يا فتاة... فقالت "**ماري**" وهي تدير عينيها في وجوه الجميع:

– طرقت الباب، ولكن لم يرد عليّ أحد... وأنا عادة لا أدخل إلا إذا قال لي النزيل "ادخلي" ولما لم يقل أحد شيئا، دخلت! ووقفت هنيهة أنظر إلى النزيل وهو يغسل يديه في الحوض. وتوقفت عن الحديث فجأة، فقال "**كروم**":

– استمري...وبعد؟!

– قلت له إنني جئت بالماء الساخن، فقال إنه اغتسل بالماء البارد،

فوجدت الماء في الحوض أحمر. فهتف "**كروم**" في اهتمام:

– أحمر؟! وهنا تدخل السيد "**بول**" في الحديث، فقال:

– وأخبرتني الفتاة بأنها رأته أيضا ممسكا بكم معطفه، كأنما كان يغسله في الحوض!

– تماما يا سيدي.. وكان وجهه يدل على أنه في حالة غير طبيعية.

– متى كان ذلك؟

– في نحو الخامسة والربع مساء أو أكثر قليلا.

– أي منذ ثلاث ساعات، فلماذا لم تأتِ يا سيد "**بول**" مع الفتاة فورا؟ فقال السيد "**بول**":

– لم نسمع بنبإ الجريمة إلا أخيرا.. ولما سمعت الفتاة النبأ، تذكرت الماء الأحمر في الحوض فصرخت وأخبرتني بما رأت، فأسرعت إلى غرفة ذلك النزيل فلم أجده فيها... ولهذا بادرت بالحضور مع "**ماري**".... فتناول "**كروم**" ورقة وقلما وقال:

– صفي ذلك النزيل بسرعة يا "**ماري**"...

– رجل متوسط الحجم، منحني القامة قليلا، يضع على عينيه نظارة طبية.

– وملابسه؟

– بدلة قاتمة اللون تدل بوجه عام على رقة الحال. ولم تستطع "**ماري**" أن تضيف إلى هذا الوصف أكثر من ذلك... وأرسل "**كروم**" اثنين من رجاله فورا إلى فندق "**بلاك سوان**"، وما هي إلا لحظات حتى عادا ومعهما سجل أسماء النزلاء فيه. وأشار السيد "**بول**" صاحب الفندق إلى اسم بين

الأسماء وقال:

– هذا هو توقيعه يا سيدي. وتجمعنا حول السجل، حيث قرأ المفتش "كروم" الاسم قائلاً:

– "أ. ب. سوست". وغمغم "بوارو" وبصوت له دلالته:

– أي "أ. ب. س"!

وسأل "كروم" صاحب الفندق قائلاً:

– ألم يترك هذا النزيل شيئا وراءه؟!

– ترك حقيبة سفر متوسطة الحجم فيها ملابس داخلية قليلة، ومجموعة من علب الكرتون المسطحة.

– علب كرتون مسطحة؟! ماذا بداخلها؟

– جوارب... جوارب نسائية. وهنا التفت "كروم" إلى "بوارو" وقال:

– أهنئك يا سيد "بوارو".

- 15 -

عاد المفتش "كروم" إلى مكتبه في "اسكتلانديارد". وصلصل جرس التليفون على مكتبه، فرفع السماعة حيث سمع صوت عامل التليفون يقول:

– هنا شاب يريد أن يدلي بأقوال في قضية "أ. ب. س" يا سيدي. وتنهد "كروم" وقال لنفسه: كل واحد يريد أن يدلي بشيء في هذه القضية، وليتهم يدلون بما يفيد. ثم قال في التليفون:

– دعه يصعد... ودخل أحد رجال المباحث يصطحب شابا مترددا يقول عنه:

– هذا هو السيد "**توم هارتيجان**" يا سيدي المفتش. إن لديه أقوالا عن قضية "**أ. ب. س**". فنهض المفتش وصافح الشاب، ثم قال له:

– طاب صباحك يا سيد "**توم**"... تفضل بالجلوس... هل تدخن؟ حسنًا.. ماذا لديك من أقوال؟ وجلس "**توم هارتيجان**"، وهو كما ذكرنا خطيب "**ليلي ماربري**" ابنة السيدة "**ماربري**" صاحبة البنسيون الذي يقيم فيه "**ألكسندر بونابرت سوست**".

جلس "**توم**" وهو يشعر برهبة، إذ كانت تلك أول مرة يدخل فيها إدارة "**اسكتلانديارد**"، وأخيرا قال:

– أنا يا سيدي خطيب لفتاة شابة تدير أمها شقة مفروشة حيث تؤجر غرفاتها لبعض النزلاء وتقع في طريق "**كامين تاون**" بـ"**لندن**" كما تعلم يا سيدي...

– حسنًا، وبعد؟

– وهي في الطابق الثاني، وينزل في إحدى الغرف المفروشة منذ عام رجل يدعى "**سوست**".

– "**سوست**"؟ آه!!

– أجل يا سيدي... رجل في منتصف العمر، غريب الأطوار، هادئ الطبع، يبدو أن الحياة قست عليه بعض الشيء، ويمكنني القول: إنه من النوع الذي لا يؤذي ذبابة؛ ولهذا ما كان يخطر ببالي قط أن أتهمه بشيء لولا بعض الدلالات التي لاحظتها عليه. وراح "**توم**" في شيء من

الاضطراب والارتباك يحدث المفتش "**كروم**" بقصة مقابلته للسيد "**سوست**" في "**أوستن**" واثقا بأنه مسافر إلى "**شلتام**" كما تشير إلى ذلك تذكرة سفره، بينما كان مسافرا إلى "**دوناستر**" ولم أهتم بذلك كثيرا في أول الأمر. ولكن عندما استطردت في الحديث مع "**ليلي**" – أعني خطيبتي – علمت منها أنه كان في "**توركاي**" القريبة من "**سيرستون**" عند وقوع الجريمة الثالثة، وأنه كان غائبا في مكان ما على شاطئ البحر عند وقوع الجريمة الثانية في "**بكسهيل**"... عندما سمعت هذا، بدأ الشك يخامرني في أمره، على الرغم من أنه – في رأيي – لا يستطيع أن يؤذي ذبابة. وبعد لحظة صمت وجيزة، استطرد الشاب يقول:

– ولما قرأنا نشرة إدارة "**اسكتلانديارد**" عن رغبتها في الاستدلال على كل من يبدأ اسمه بالحرفين "**أ. ب**" ثم الاسم "**سوست**"، أسرعت بالاتصال بالسيدة "**ماري**" حيث علمت منها أن نزيلها الغريب الأطوار السيد "**سوست**" يحمل اسما كاملا يبدأ بالحرفين "**أ. ب**"، وقد دهشنا كثيرا وأبينا أن نصدق أنفسنا... ولكن السيدة "**ماربري**" كانت واثقة تماما بأن نزيلها هذا كان غائبا عن غرفته في الليالي التي وقعت فيها الجرائم الثلاث الأخيرة، وراحت هي وابنتها تعتصران ذاكرتيهما لتتذكرا أين كان أثناء وقوع الجريمة الأولى، جريمة "**أندوفر**" التي حدثت منذ ثلاثة أشهر، وقد تذكرت السيدة "**ماربري**" أن أخًا لها كان قد وصل من "**كندا**" في ذلك الحين ولما لم تجد له غرفة يبيت فيها، اقترحت "**ليلي**" عليها أن يبيت في غرفة السيد "**سوست**"؛ لأنه قال يومذاك إنه سيغيب ليلته في الخارج. وقد تحرينا تاريخ وصول الباخرة التي أقلت شقيق السيدة "**ماربري**" إلى

"**لندن**"، وعلمنا أنها وصلت ميناء "**ساوثمبتون**" في صباح اليوم الحادي والعشرين من شهر حزيران (يونيو) الماضي. وكان المفتش "**كروم**" ينصت باهتمام إلى حديث الشاب. فلما فرغ من حديثه قال له:

– أهذا كل شيء؟

– أجل يا سيدي.

– لقد أحسنت بمجيئك إلينا... أين السيد "**سوست**" هذا الآن؟ إنني أحب أن ألتقي به لألقي عليه بعض الأسئلة هل هو في غرفته الآن؟

– أجل يا سيدي.

– متى عاد؟

– من "**دوناستر**"؟ في ليلة وقوع الجريمة، وتقول السيدة "**ماربري**" إنه لا يكف عن شراء الصحف ولا عن الحديث إلى نفسه! وبعد أن دون المفتش "**كروم**" العنوان، شكر "**توم هارتيجان**" بحرارة ثم استدعى أحد مرءوسيه – بعد انصراف "**توم**" – وطلب منه أن يرسل بعض رجال المباحث لمراقبة عنوان السيد "**سوست**" والقبض عليه إذا كان موجودا.

ومرة أخرى انعقد مؤتمر في "**اسكتلانديارد**"، وضم هذا المؤتمر نائب المدير والمفتش "**كروم**" والسيد "**بوارو**"، وأنا.

وقال نائب المدير لـ"**بوارو**":

– كانت ضربة معلم تلك التي ذكرت فيها موضوع الجوارب النسائية يا سيد "**بوارو**"... فقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن القاتل كان يتظاهر ببيع الجوارب النسائية. فبسط "**بوارو**" يديه، وقال:

– كان الأمر واضحا بعد أن سمعت كلمة "الجوارب" تتردد كثيرا على ألسنة

المقربين إلى الضحايا. والتفت نائب المدير إلى المفتش "**كروم**"، وقال:

– هل وضحت لك كل غوامض هذه القضية يا "**كروم**"؟

– كلها تقريبا يا سيدي... هل أسرد كل ما لدينا من معلومات حتى الآن؟

– أرجو أن تفعل.

– لقد ثبت أن المتهم كان في فندق "**بيت**" بمصيف "**توركاي**" قبل وقوع جريمة "**سيرستون**" بيوم واحد، وقد سجل اسمه في الفندق "**أ. ب. سوست**"، وثبت أنه عاد إلى الفندق في ليلة وقوع الجريمة في الساعة العاشرة والنصف مساء... أي كان في إمكانه أن يستقل قطار الساعة التاسعة وسبع وخمسين دقيقة من محطة "**سيرستون**"، فيصل إلى محطة "**توركاي**" في العاشرة وعشر دقائق. وصمت المفتش "**كروم**" هنيهة، قبل أن يستطرد قائلاً:

– وكذلك الحال بشأن "**بكسهيل**".. لقد نزل في فندق "**جلوب**" وسجل اسمه "**أ. ب. سوست**"، وعرض جواربه للبيع على أكثر من اثنتي عشرة سيدة منهن السيدة "**برنارد**"، وغادر الفندق في ساعة مبكرة من مساء وقوع الجريمة، ثم عاد إلى "**لندن**" في الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح اليوم التالي، أما بشأن "**أندوفر**"، فقد نزل في فندق "**ثيشرز**"، وعرض جواربه على السيدة "**فاولر**" جارة السيدة "**آسكر**" – المجني عليها – كما عرضها على أكثر من خمس سيدات أخريات، وقد حصلت على الجورب الذي اشترته منه السيدة "**آسكر**" لإهدائه لابنة أخيها "**ماري دراور**" كما يبدو.. حصلت عليه من "**ماري**"، وثبت أنه من الصنف نفسه الذي يبيعه السيد "**سوست**"،

وبعد المعلومات التي أدلى بها المدعو "**توم هارتجيان**" ذهبت بنفسي إلى مسكن السيد "**ماربري**" حيث علمت أن المدعو السيد "**سوست**" خرج من غرفته دون أن يشعر به أحد، وقمت بتفتيش هذه الغرفة، وثبت بما لا يدع مجالا لأي شك أنه المجرم المجهول. لقد عثرت على رزمة من أوراق الرسائل من النوع نفسه الذي كتبت عليه رسائله إلى "**بوارو**"، وكذلك وجدت في داخل خزانة الملابس كمية كبيرة من الجوارب النسائية في علب مسطحة، ولفافة بها مجموعة من دليل "**أ. ب. س**" للسكة الحديد، كلها جديدة... وكانت اللفافة تشبه لفافات علب الجوارب تماما، بحيث يظن الذي يراها لأول وهلة أنها تضم علب جوارب لمجموعة من دليل "**أ. ب. س**" للسكة الحديد.

وقال نائب المدير:

- هذه كلها أدلة مادية حاسمة. وقال المفتش "**كروم**" بلهجة الانتصار:

- وقد عثرت في غرفته على شيء آخر... عثرت على السكين المستعملة في الجريمة الأخيرة.

- السكين نفسها؟

- أجل... وكانت لم تزل ملوثة بالدماء. فقال نائب المدير:

- أحسنت يا "**كروم**"... لم يبقَ أمامنا غير شيء واحد.

- ما هو سيدي؟

- القبض على الرجل نفسه! فقال "**كروم**" بلهجة تنم عن الثقة الكاملة:

- لسوف يتم هذا خلال ساعات.

*****

- 16 -

كان يوما من أيام تشرين الثاني (نوفمبر) الصافية الأديم، وكان الدكتور "**ثومبسون**" و"**كروم**" والمفتش "**جاب**" قد جاءوا إلى مسكن "**بوارو**" ليخبروه بآخر تفاصيل "**أ. ب. سوست**" بعد أن تم القبض على هذا الأخير وكان "**بوارو**" ملازم الفراش بسبب نوبة برد. وقال المفتش "**جاب**":

– لقد حول قاضي التحقيق قضية "**أ. ب. سوست**" إلى محكمة الجنايات. وقلت أنا:

– هل سيصر الدفاع على أنه مجنون غير مسؤول عن جرائمه؟ فقال "**جاب**":

– إن الدفع بالجنون لن يؤدي إلى إطلاق سراح المتهم، بل سيدفع به إلى مصحة الأمراض العقلية حيث لا يخرج منها إلا بمرسوم، ثم أردف قائلا:

– ولكنني أعتقد أن المحامي السيد "**لوكاس**" يرى أن أمام المتهم ثغرة يمكنه النجاة منها، وهي إقامة الدليل الحاسم على أن "**سوست**" لم يكن في "**بكسهيل**" ليلة وقوع الجريمة، ولكنه لن يستطيع في رأيي أن ينقذ المتهم من حبل المشنقة في نهاية الأمر. وقال "**بوارو**" للدكتور "**ثومبسون**":

– ما رأيك يا دكتور؟

– تسألني عن رأيي في "**سوست**"؟ إنني لا أدري ماذا أقول؟! إنه يتظاهر بتمام العقل والحكمة، ولم أجد حتى الآن أي عرض من أعراض الجنون في حديثه أو تصرفاته، ولعل الدليل الحاسم على إدراكه التام

لارتكابه هذه الجرائم، تلك الرسائل التي أرسلها إليك يا سيد "**بوارو**" .. إنها تدل على عقلية تعرف كيف تحكم التدبير.

وقال "**بوارو**" :

– ألم يقل "**سوست**" شيئا بخصوص هذه الرسائل بعد؟

– نعم... إنه لا يزال مصرًّا على أنه لا يعرف من أمرها شيئا.

– إنني شخصيا لن أعتبر القضية منتهية حتى أعرف لماذا اختارني بالذات لكي يرسل هذه الرسائل إليَّ؟

– مؤكد... مؤكد... هذا حقك. وقال "**بوارو**" :

– وذلك الشاهد العجيب المدعو "**سترانج**" ، ألا يزال مصرا على قوله بأن المتهم كان يلعب "**الدومينو**" معه إلى ساعة متأخرة من مساء اليوم الرابع والعشرين من تموز (يوليو)، وفي فندق ببلدة "**إيستبورن**"؟

وأجاب المفتش "**جاب**" الذي كان قد بقي بعد انصراف الدكتور "**ثومبسون**" :

– نعم... إنه مصر عليها كل الأصرار. فقلت أنا، وكنت قد سمعت شهادته أثناء التحقيق:

– إنه من أشد الناس عنادا وإصرارا على أقواله... لقد أقسم بكل شيء مقدس إنه التقى مصادفة بـ"**سوست**" في فندق "**هوايت كروس**" ببلدة "**إيستبورن**" في مساء اليوم الرابع والعشرين من تموز (يوليو) الماضي، أي في ليلة وقوع جريمة "**بكسهيل**" ، ولما رآه وحيدا بائسا أشفق عليه، وراح يتحدث إليه، وبعد طعام العشاء لعبا معًا "**الدومينو**" ، ويبدو أن ذلك المدعو "**سترانج**" من هواة هذه اللعبة، وقد أدهشه وسره أن يجد في

"**سوست**" غريما بارعا، وقد أقسم مرات عديدة أنهما ظلا يلعبان ساعات طويلة متوالية، وأنهما لم يفرغا من اللعب إلا في منتصف الليل ولهذا أقسم مرات ومرات بكل مقدس إن "**سوست**" ؛ لا يمكن أن يكون مرتكب جريمة "**بكسهيل**" ؛ لأنه كان موجودا معه في "**إيستبورن**" حتى آخر لحظة من الساعة الثانية عشرة مساء اليوم الرابع والعشرين، وقد ثبت طبيا أن الجريمة ارتكبت في هذه الساعة. فكيف استطاع "**سوست**" أن يكون موجودا في مكانين مختلفين في وقت واحد، لاسيما أن المسافة بين البلدتين ثلاثة وعشرون كيلومترا؟

فقال "**بوارو**" :

– هذه مسألة تستحق التفكير والتأمل. فهز "**كروم**" كتفيه، وقال:

– حتى لو ظل ذلك المدعو "**سترانج**" على شهادته، فلا تزال لدينا جريمة "**دوناستر**" بما فيها من السكين الملوث بالدماء وكم المعطف الذي كان يغسله في الحوض... إنه لن يستطيع أن يجد في هذه الجريمة ثغرة واحدة، ثم هناك جريمة "**سيرستون**"، ثم "**أندوفر**"... إن هذه الجرائم الثلاث الثابتة عليه تدل على أنه مرتكب الجريمة في "**بكسهيل**" مهما أقسم وأصر "**سترانج**" على شهادته. وبعد انصراف المفتشين، قلت لـ"**بوارو**" :

– ما رأيك في هذا كله؟

– وما رأيك أنت يا "**هاستنجز**"؟ أتعتبر الموضوع منتهيا؟

– أعتقد هذا؛ لأن الرجل قد وقع أخيرا، والأدلة متوافرة إلى حد مذهل.

– أنا شخصيا لا أعتبر الموضوع منتهيا حتى أعرف كل شيء عن ذلك

الرجل.

– لقد عرفت عنه الشيء الكثير.

– لا، لا .. لم يُعرف عنه في الواقع شيء، عرفنا أين وُلد حقًا، وأنه اشترك في الحرب العالمية الأخيرة، وأنه جُرح في رأسه وأُعفي من الخدمة؛ بسبب داء الصرع، ونعرف أنه أقام سنتين في غرفة مفروشة بمسكن السيدة "**ماربري**"، وأنه كان دائما هادئا منعزلا، من النوع الذي لا يشعر به أحد، ونعرف أنه وضع خطة هذه السلسلة من الجرائم وأحكم تنفيذها، وأنه في النهاية ارتكب عدة أخطاء عجيبة لا يرتكبها أي مبتدئ في عالم الجريمة، ونعرف أيضا أنه لم يحاول أن يتهم أحدا بارتكاب هذه الجريمة... كما نعرف في الوقت نفسه أنه كان يقتل ضحاياه بلا رحمة أو شفقة. أترى يا "**هاستنجز**" مبلغ المتناقضات في شخصيته؟! داهية وأبله، عطوف وقاسٍ لا يرحم، هادئ منعزل وجبار سفاك... هذه المتناقضات كلها لابد أن يكون لها عامل أساسي يربط بينها!

– لعل شهوة القتل..

– أجل.. إن هذا الحافز يفسر الشيء الكثير ولكنه لا يقنعني، فهناك أشياء كثيرة أريد أن أعرفها عن يقين، مثلا:

لماذا ارتكب هذه الجرائم؟ ولماذا اختار هؤلاء الناس بالذات؟

– لأن أسماءهم مرتبة بالحروف الهجائية.

– هل كانت "**بيتي برنارد**" مثلا هي الفتاة الوحيدة في "**بكسهيل**" التي يبدأ اسمها بالحرف "**ب**" ؟! آه!

لقد خطرت لي فكرة... لابد أنها فكرة صائبة، بل يجب أن تكون فكرة

صائبة . . !

ثم استغرق في تفكير عميق حتى ظننته نائما. . . ويبدو أنني الذي نمت؛ لأنني لم ألبث أن تنبهت على يده وهي تربت كتفي، وعلى صوته وهو يهتف بي قائلاً :

– يا عزيزي "**هاستنجز**" . . . إنني أعرف الآن السبب الذي من أجله قتلت السيدة "**آسكر**" – وإن كنت أعرف السبب منذ مدة – والسبب الذي من أجله قُتل السيد "**سيرميكال كلارك**" ، والسبب الذي من أجله وقعت جريمة "**دوناستر**" ، وأخيرا وهذا هو المهم أيضا، لماذا وقع الاختيار على "**هركيول بوارو**" بالذات لإرسال تلك الرسائل إليه .

– هل تسمح وتشرح لي الأمر؟

– لا، ليس الآن . . . أريد أولا أن أجمع بعض المعلومات، وربما استطعت جمعها من فرقتنا الخاصة، ثم بعد أن أعرف الإجابة عن سؤال معين، سوف أذهب لزيارة صاحبنا "**أ. ب. س**" . . ولسوف أقف معه وجها لوجه . "أ. ب. س" أمام "**هركيول بوارو**" .

– وبعد ذلك؟

– وبعد ذلك سنتحدث، ونتأكد يا "**هاستنجز**" أن الحديث من أخطر الأسلحة التي تكشف عن مكنونات الصدور، إن الحديث – كما قال لي فرنسي هرم ذات مرة – من الضروريات التي اختص الله الإنسان بها؛ لتخفف عنه كثرة التفكير، والإنسان يا "**هاستنجز**" لا يستطيع أن يقاوم عملية كشف نفسه والإفصاح عن حقيقة شخصيته عن طريق الحديث، وكلما أكثر من الحديث؛ ازدادت شخصيته وضوحا . وهنا

قلت له:

- ماذا تنتظر أن يقول لك "**سوست**"؟ فابتسم "**بوارو**" وقال:

- كذبة... وعن طريق هذه الكذبة، سأعرف الحقيقة.

- 17 -

ظل "**بوارو**" مشغولا بضعة أيام، فكان يختفي ساعات طويلة، ثم يظهر فجأة، ثم يستغرق ساعات أخرى في تفكير عميق، كل هذا دون أن يدعوني للذهاب معه أو يشركني في أفكاره، وبالقرب من نهاية الأسبوع، أعلن عن رغبته في الذهاب إلى "**بكسهيل**" وما يجاورها. ثم اقترح أن أذهب معه. وبطبيعة الحال رحبت بالاقتراح، وتبين لي أن هذه الدعوة لم تقتصر عليّ فقط، وإنما شملت الفرقة الخاصة أيضا. وذهبنا إلى "**بكسهيل**"، وزار "**بوارو**" أولا السيدة والسيد "**برنارد**" حيث عرف من السيدة الموعد الذي حضر فيه "**سوست**" إليها ليبيع جواربه، وماذا قال لها على وجه التحديد، ثم ذهب إلى الفندق الذي كان "**سوست**" قد نزل فيه، وعرف الموعد الذي رحل عنه بالتحديد. وعلى الرغم من أنني لم أجد في هذا كله جديدا، إلا أن "**بوارو**" بدا لي راضيا كل الرضا. وذهبنا بعد ذلك إلى الشاطئ، إلى المكان الذي قُتلت فيه "**بيتي برنارد**"، وهناك راح "**بوارو**" يسير حوله في دوائر، ولم أجد أنا في هذا كله جدوى... لاسيما أن المد كان يغمر المكان أكثر من مرة في اليوم.

وانتقل من الشاطئ الرملي بعد ذلك إلى أقرب مكان يمكن أن تقف فيه

سيارة خاصة، ثم مضى إلى الموقف الذي تبدأ منه السيارات العامة رحيلها إلى "**إيستبورن**". وأخيرا ذهبنا جميعا إلى مقهى "**جنجركات**" حيث شربنا أقداحا من الشاي قدمتها إلينا "**ميللي هيجلي**". ولشد ما أدهشني، أن رأيت "**بوارو**" يداعب الآنسة "**هيجلي**" ويتغزل في جمال ساقيها، قائلا: إن جمال الساقين في الفتيات الإنجليزيات شيء نادر. وضحكت هي ابتهاجا... وأكدت له أنه "**فرنسي**" لطيف. وقال "**بوارو**" أخيرا:

- لقد انتهيت من "**بكسهيل**"، ولم يبقَ أمامي أخيرا غير زيارة لـ"**إيستبورن**" ولا حاجة بكم إلى أن تصحبوني... والآن هلم نرجع إلى الفندق لكي نتحدث، وفي الفندق قال "**فرانكلين كلارك**":

- أعتقد أنك تريد أن تحطم شهادة ذلك المدعو "**سترانج**"... أليس كذلك؟

- صبرا يا صديقي، صبرا.

- يبدو لي يا سيد "**بوارو**" أنك راضٍ عن نفسك جداً.

- نعم، نعم؛ لأن فكرتي الصغيرة بدأت تتبلور إلى حقيقة أكيدة. ثم ارتسمت أمارات الجد على وجهه، وقال فجأة:

- حدثني صديقي "**هاستنجز**" ذات يوم أنه كان يحب - وهو شاب - لعبة اسمها "**لعبة الحقيقة**" ومؤداها أن يوجه إلى كل فرد من مجموعة اللاعبين ثلاثة أسئلة، عليه أن يجيب - بصدق - عن اثنين منها، ويمكنه أن يرفض الإجابة عن السؤال الثالث، والأسئلة في هذه اللعبة تكون بطبيعة الحال بعيدة عن الخصوصيات المحرجة ولهذا يستلزم أن يقسم كل لاعب على قول الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة، ولما توقف عن الحديث هنيهة

قالت "**ميجان برنارد**" :

– حسنًا.

– آه! أريد أن نشترك في هذه اللعبة معا، ويكفي أن يوجه إلى كل واحد منا سؤال واحد فقط بدلاً من ثلاثة. وقال "**فرانكلين كلارك**" في ملل:

– إننا على استعداد للإجابة عن أي سؤال.

– أوه! ولكن الأمر أخطر من هذا... هل أنتم على استعداد للقسم؟ ولما كان الجد واضحا في صوته، فقد دهشنا جميعا، ولم يسعنا إلا أن نقسم الواحد بعد الآخر على قول الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة. وقال "**بوارو**" مسرورا:

– عظيم جدًّا... لنبدأ الآن. وقالت "**تورا جراي**" :

– فلأكن أنا الأولى...

– آه السيدات أولا! ولكننا سنخالف هذا التقليد في هذه المرة. ثم التفت إلى "**فرانكلين كلارك**"، وقال:

– ما رأيك في القبعات التي ارتدتها السيدات في سباق "**أسكوت**" هذا العام؟

– هل أنت جاد في هذا السؤال يا سيد "**بوارو**"؟

– أجل.

– رأيي أنها قبعات مثيرة للسخرية والضحك.

– عجيبة، شاذة؟

– أجل.

– وأنت يا سيد "**دونالد فريزر**".. متى قمت بإجازتك السنوية هذا

العام؟

– إجازتي السنوية؟ في الأسبوعين الأولين من شهر آب (أغسطس). والتفت "بوارو" فجأة إلى "تورا جراي" وقال:

– لو أن السيد "**سيرميكال كلارك**" عرض عليك الزواج بعد وفاة السيدة زوجته، فهل كنت تقبلين؟

فوثبت الفتاة غاضبة، وهتفت قائلة:

– كيف تجرؤ على توجيه سؤال كهذا إليّ؟ إنه إهانة.

– ربما... ولكنك أقسمت على أن تقولي الحقيقة.

– كان السيد "**ميكال**" شديد العطف عليّ وكان يعاملني كابنته، وهكذا كان شعوري نحوه.

– عفوا يا آنسة.. ولكنك لم تجيبي عن سؤالي بـ"لا" أو "نعم".

– لا... بالتأكيد!

– شكرا جزيلا. والتفت "بوارو" إلى "**ميجان**" التي كان وجهها شديد الشحوب، ثم قال:

– أخبريني يا آنسة، هل تتمنين حقًا أن تنتهي تحرياتي بالكشف عن الحقيقة كلها؟ ولشد ما كانت دهشتنا حين سمعناها تقول بوضوح وإصرار:

– لا. وابتسم "بوارو"، وقال:

– إنك لا تريدين ظهور الحقيقة، ومع ذلك فأنت من أشد أنصارها يا آنسة. ثم التفت إلى "**ماري دراور**"، وقال:

– أخبريني يا آنستي... هل لك حبيب شاب؟ وفوجئت الفتاة

المسكينة، واضطرم وجهها ثم تمتمت:

- إنني.. إنني لست واثقة به إذا كان يبادلني الحب أم لا. فابتسم "**بوارو**"، وقال:

- هذا يكفي يا أبنائي... والآن، هلم يا "**هاستنجز**" إلى "**إيستبورن**". وفي الطريق إلى "**إيستبورن**"، قلت لـ"**بوارو**":

- هل يمكن أن ألقي عليك بعض الأسئلة يا "**بوارو**"؟

- لا يا "**هاستنجز**".. عليك أن تصل إلى النتائج بمفردك. ثم استغرق في سكون عميق. وبعد فترة وجيزة أفاق وقال لي:

- غدا سوف أزور ذلك المدعو "**سوست**". ثم أضاف قائلا للسائق:

- عد بنا إلى "**لندن**". فهتفت قائلا:

- ألن تذهب إلى "**إيستبورن**"؟

- ما الداعي إلى هذا؟ لقد عرفت ما يكفي للوصول إلى الحقيقة.

- 18 -

لم أحضر المقابلة التي تمت بين "**هركيول بوارو**"، والمدعو "**ألكسندر بونابرت سوست**"؛ لأن القاضي لم يصرح بزيارته إلا لـ"**بوارو**" فقط، ولكنني سأسرد فيما يلي تفاصيل ما دار بينهما بدقة كاملة بناء على حديث "**بوارو**" إليَّ بعد ذلك. لقد بدا "**سوست**" منكمشا على نفسه، ولاح كأنما ازداد جسمه انحناءً، وقال "**بوارو**" أخيرا بصوت رقيق:

- أتعرف من أنا؟ فهز الرجل رأسه، ورفع وجهه إلى "**بوارو**" وقال وهو

يطرف بعينيه:

ـ لا.. لا أعرفك، هل أنت أحد المحامين في مكتب السيد "**لوكاس**"؟

ـ أنا "**هركيول بوارو**"، وحرص "**بوارو**" على أن يلاحظ بدقة تأثير هذا الاسم في الرجل. ورفع هذا وجهه مرة أخرى، وتمتم في هدوء قائلاً:

ـ آه. ! نعم. وبعد لحظة، عاد يقول بصوت ينم عن الانفعال وكأنما بدأ يتذكر:

ـ آه، السيد "**بوارو**"... "**هركيول بوارو**"!

ـ أنا الرجل الذي كنت تبعث إليه برسائلك. وفجأة أغضى "**سوست**" بعينيه، وقال باضطراب:

ـ أنا لم أكتب إليك قط... وهذه الرسائل لم أكتبها أنا... هذا ما قلته كثيرا طوال جلسات التحقيق.

ـ أعرف هذا... ولكن إذا لم تكن أنت كاتبها، فمن يكون؟

ـ أحد الأعداء... لابد أن لي عدوا... إن الناس جميعا يعادونني ولا أدري لماذا... إنها مؤامرة ضخمة مدبرة ضدي... ولكن لماذا؟

فصمت "**بوارو**" هنيهة ثم قال:

ـ هل كان الناس يعادونك حتى منذ أن كنت طفلا؟

ـ لا... لا أظن... كانت أمي شديدة الحب لي، وكانت تركز كل آمالها الكبار في شخصي، وتعتقد أني سأكون عظيما يوما ما... ولهذا أسمتني "**ألكسندر بونابرت**"، وكأنما الاسم وحده يمكن أن يخلق من صاحبه شخصا عظيما، ولكنها كثيرا ما كانت تؤكد لي أن الإنسان هو سيد مصيره، وأن في مقدوره أن يحدد مستقبله كما يشاء! وصمت هنيهة

قبل أن يستطرد قائلاً:

- ولكنها كانت مخطئة... وهذا ما عرفته بنفسي؛ لأني لم أكن من الأشخاص الذين يمكن أن يظفروا بمكانة رفيعة في الحياة التي تثير سخرية الناس مني... وهكذا أصبحت خجولا، خائفا من الناس، ولشد ما عانيت سخرية زملائي في المدرسة من اسمي! ومرة أخرى، لزم الصمت فترة وجيزة قبل أن يردف قائلاً:

- وماتت أمي.. ماتت حزينة ساخطة، والتحقت بالمعهد التجاري، وتخرجت فيه متخلفا عن جميع زملائي، وأنا إذا كنت أبدو أمام الناس غبيا، إلا أنني في الواقع لست كذلك.

- إنني أدرك هذا... استمر.

- ولشد ما كنت أتألم كلما رأيت الناس ينظرون إليّ على أني إنسان غبي متخلف أبله، وقد ازداد شعوري بالألم أثناء التحاقي بالعمل كاتبا في إحدى الشركات. وأشرق وجه "**سوست**" فجأة، حين استطرد يقول:

- ولكنني استمتعت بالفترة التي قضيتها بين زملائي الجنود في الحرب؛ لأنني وجدت نفسي فجأة في مستوى واحد معهم، ولكنني للأسف أصبت بجرح في رأسي، فسرحت من الخدمة العسكرية؛ لأنني أصبت - بسبب ذلك الجرح - بداء الصرع، والواقع أنني لا أعرف على وجه التحديد ماذا دهاني، فأنا أحيانا أقوم بأعمال على غير وعي مني...

وبعد ذلك؟

- اشتغلت كاتبا في شركة... ولكنني لم أحسن القيام بعملي، فكان زملائي يتخطونني في الترقيات، وأصبح راتبي لا يكاد يكفي ضروريات

الحياة، ولاسيما بعد الارتفاع الجنوني في الأسعار... ولهذا السبب رحبت بالعمل كمندوب متجول لمصنع جوارب نسائية نظير راتب ثابت وعمولة على البيع. وهنا قال "بوارو" برفق:

– ولكنك علمت أن أصحاب المصنع ينكرون أنهم عهدوا إليك بعمل كهذا. فقال "سوست"، وقد عاوده الاضطراب:

– لأنهم مشتركون في هذه المؤامرة... وإن معي أدلة مكتوبة... معي رسائل من إدارة المصنع فيها التعليمات عن الأماكن التي يجب أن أذهب إليها لأبيع فيها، وقائمة بأسماء الأشخاص الذين يجب أن أذهب إليهم وأعرض عليهم الجوارب.

– إن هذه الرسائل مكتوبة على الآلة الكاتبة.

– بالتأكيد... لأن إدارة مصنع كهذا لابد أن تكتب رسائلها على آلة.

– ألا تعرف أن في الإمكان معرفة نوع الآلة التي كتبت عليها هذه الرسائل؟

– بالتأكيد.. هذه مسألة بديهية.

– لقد ثبت أن هذه الرسائل مكتوبة على الآلة الكاتبة التي وجدت في غرفتك.

– إن هذه الآلة أرسلتها إدارة المصنع لي عند بدء التحاقي بالعمل.

– أجل.. .ولكن هذه الرسائل أرسلت إليَّ بعد تسلمك الآلة، ومعنى هذا أنك كتبت عليها الرسائل وأرسلتها إلى نفسك.

– لا، هذا لم يحدث... إنها جزء من المؤامرة!

– ومجموعة كتب دليل "أ. ب. س" للسكة الحديد التي وجدت في

غرفتك؟

– لا أعرف عنها شيئا، لقد ظننت أنها لفافة تحتوي على علب جوارب.

– لماذا وضعت علامة على اسم السيدة "**آسكر**" في "**أندوفر**"؟

– لأني قررت أن أبدأ عملية البيع معها... إن على الإنسان أن يتعلم أعماله، ويحدد مرحلة البدء.

ثم أردف قائلا في انفعال شديد:

– إنها مؤامرة دنيئة ضدي.. وليس أدل على ذلك من وجودي في ليلة جريمة "**بكسهيل**"، في مكان بعيد... في "**إيستبورن**" حيث كنت ألعب "**الدومينو**" مع السيد "**سترانج**".

– من السهل أن يخطئ الإنسان في التاريخ، لاسيما إذا كان الخطأ في تاريخ يوم واحد، وإن رجلا عنيدا مثل "**سترانج**" يرفض أن يعترف بخطئه مهما تكن الظروف، ومن السهل عليك أن تكتب في سجل الفندق تاريخ يوم سابق أو لاحق على يوم الجريمة دون أن يفطن أحد إلى هذا.

– لقد كنت ألعب "**الدومينو**" في تلك الليلة. وفجأة هتف الرجل قائلا في ألم:

– آه! لقد عاودتني نوبة الصداع... إنه مؤلم... مؤلم، إنه يجعلني في بعض الأحيان لا أدري ماذا أقول أو أفعل. وانحنى "**بوارو**" فجأة نحوه، وقال:

– ولكنك تعلم أنك ارتكبت هذه الجرائم، أليس كذلك؟ ورفع السيد "**سوست**" وجهه، وبدت نظراته هادئة عادية... وكأنما قد تلاشت من نفسيته كل رغبة للمقاومة.. وأخيرا قال:

– بلى.. أعلم!

– وأنا على حق في قولي إنك لا تعرف لماذا ارتكبت هذه الجرائم.. أليس كذلك؟

– بلى.. إنني لا أعرف لماذا؟

- 19 -

كنا جالسين في اهتمام وترقب، ونحن ننصت إلى "**بوارو**" وهو يكشف لنا عن جميع الحقائق في جرائم "**أ. ب. س**". قال:

– كان أهم ما يشغل فكري هو لماذا ارتكب المجرم هذه الجرائم؟ ولماذا اختارني أنا بالذات للتحدي؟ ولهذا يشهد صديقي "**هاستنجز**" أنني كنت مهتما ومضطربا عندما استلمت الرسالة الأولى؛ لأني أحسست أن شيئًا ما خطيرًا ! يكمن وراء تلك الرسالة الأولى، ولكن إدارة "**اسكتلانديارد**" سخرت منها، وقالت إنها مجرد دعابة ثقيلة من أحد الفارغين التافهين، ولم يلبث حادث "**أندوفر**" أن أثبت أني كنت على حق؛ ولم أعرف بطبيعة الحال المجرم الذي ارتكب هذه الجريمة، وهكذا وجب عليّ أن أحاول التعرف عليه من دلالات الرسالة وطريقة ارتكاب الجريمة، وشخصية المجني عليها، ولكن أهم من هذا كله هو أن أعرف لماذا ارتكب هذه الجريمة، ولماذا اختارني المجرم بالذات ليبعث إليّ برسالته فقال "**فرانكلين كلارك**":

– رغبته في الشهرة والظهور! وقالت "**تورا جراي**":

– لا شك أن الشعور بمركب النقص هو المبرر لهذه الجرائم.

– هذا هو التبرير الواضح.. ولكن لماذا أرسل إليّ أنا، أنا "**هركيول**"؟ إذا كانت الشهرة بغيته، فلماذا لم يبعث برسالته إلى إدارة "**اسكتلانديارد**" أو إلى إحدى الصحف؟ إنه لو فعل هذا لظفر بالمزيد من الشهرة – إن كانت الشهرة بغيته حقًّا – فلماذا إذن اختارني أنا بالذات؟ هل اختارني لأسباب شخصية؟ هذا ما لم أعرفه في حينه.

ووصلت الرسالة الثانية التي أعقبها حادث مقتل "**بيتي برنارد**" في "**بكسهيل**" ولقد أثبتت لي هذه الجريمة أن المجرم ينوي ارتكاب سلسلة من الجرائم طبقا لترتيب الحروف الهجائية في الأسماء، ولكنني مرة أخرى أقول إن السؤال المهم جدًّا، ظل بلا جواب.. وهو: لماذا يرتكب المجرم هذه الجرائم؟ وهنا تململت "**ميجان برنارد**" في جلستها وقالت:

– هل يوجد شيء اسمه شهو ة القتل؟

– أجل يا آنسة... يوجد شيء اسمه شهوة القتل فعلا، ولكن هذه الشهوة إذا استبدت برجل ما – والعادة أن يكون مجنونا – فإنها تدفعه إلى القتل بالجملة، إلى قتل أكبر عدد من الناس، وأهم ما يشغل بال مثل هذا القاتل هو تغطية كل أثر ينم عنه لا أن يعلن عن الجرائم مقدما بمثل هذه الرسائل. ثم لماذا يحرص على أن يترك مع كل جثة دليل "أ. ب. س" للسكة الحديد؟ لقد كان في مقدوره أن يرتكب هذه الجرائم خفية تاركا عبئها يقع على أشخاص يمكن الاشتباه فيهم. مثل السيد "**آسكر**" زوج الضحية الأولى، والسيد "**دونالد فريزر**"، خطيب الضحية الثانية... وهكذا. إذن لماذا حرص على أن يركز الاتهام في

شخصه بالذات؟ هل هو الدافع لأن يكون شهما كريما؟ وهل يمكن أن تعرف الشهامة طريقها إلى قلب قاتل كهذا؟ وصمت "بوارو" هنيهة، ثم استطرد يقول:

– على أن هناك معالم استطعت بها أن أعرف شيئا عن عقلية المجرم ونفسيته. فقال "فريزر":

– مثل ماذا؟

– أولا – أدركت أن له عقلية جدولية... لقد رأى أن من الأهمية بمكان أن يرتكب جرائمه حسب الحروف الهجائية لأسماء الضحايا. فلو لم تكن له عقلية جدولية فلماذا اهتم بأمر كهذا كل الاهتمام؟ ومن ناحية أخرى لم يكن له إحساس خاص نحو الضحايا... فإن السيدة "آسكر"، و"بيتي برنارد"، والسيد "سيرميكال" يختلفون بعضهم عن بعض أشد الاختلاف... أي لم يكن في الموضوع عقدة جنس، ولا عقدة سن معينة... وهذا من الأسباب التي حيرتني كثيرا، فالمجرم حين يعمد إلى ارتكاب جريمة ما ولاسيما إذا كانت جريمة محكمة أشد الإحكام، فإنما يهدف بذلك إلى إزاحة شخص ما يضايقه في الطريق، ولكن الحرص على ارتكاب هذه السلسلة من الجرائم حسب الترتيب الهجائي لاسيما الضحايا، لا يتفق مع هذه النظرية، وشيء آخر أسمح به لنفسي في ميدان الاستنتاج وهو أن اختيار دليل السكة الحديد ينم عن طبيعة ذكرية؛ لأن الأطفال الذكور هم الذين يحبون اللعب بأدوات السكك الحديدية كالقطارات والقضبان... وما دمنا دخلنا في ميدان اللعب، يمكن أن نقول إن للمجرم عقلية صبيانية! والطريقة التي ماتت

بها "**بيتي برنارد**" قد أوحت إليَّ باستدلال آخر.. ومعذرة يا سيد "**فريزر**"، فإن استعمال حزامها في قتلها دليل على أن القاتل كان على علاقة مودة ومداعبة معها... وأستطيع أن أتصور أنه فك حزامها مداعبا، ثم لفه حول عنقها مداعبا، وهو يضحك قائلاً: «هل أخنقك؟» وبينما هي تشاركه الضحك، يكون قد بدأ بخنقها فعلا. ونحن نعرف أن "**بيتي**" كانت فتاة تحب الغزل، وتميل إلى الرجل الوسيم الذي يعرف كيف يجذبها بشخصيته اللطيفة... وفي هذه الحالة ينبغي أن يكون القاتل شخصا جذابا للنساء بصفة عامة. وهنا حاول "**دونالد فريزر**" أن يحتج، ولكن "**بوارو**" أسرع يقول:

– انتهينا من هذه النقطة يا سيد "**فريزر**"... ولننتقل إلى الجريمة التالية... إلى مصرع السيد "**سيرميكال**".

وهنا نجد المجرم يعود إلى طريقته الأولى... الضرب على الرأس، وهنا أيضا نجد عقدة الأحرف الهجائية واضحة... ولكن جريمة "**سيرستون**" هذه لم تزودني إلا بالقليل جداً من المعالم؛ لأن الرسالة التي أرسلت إليّ أخطأت طريقها في العنوان مرتين حتى وصلتني متأخرة، أي بعد وقوع الجريمة.. ولكن عندما أعلن المجرم عن جريمة "**د**" اتخذ رجال المباحث إجراءات ضخمة، وظهر واضحا أن المجرم لن يستطيع الإفلات هذه المرة من العدالة، وفي الوقت نفسه كنا قد علمنا أن القاتل يبيع الجوارب النسائية لحساب مصنع ما، ولكنني في الحقيقة لم أكن لأتوقع أن يكون على ذلك الشكل الذي وصفته به الآنسة "**تورا جراي**"؛ لأن هذا الشكل لم يكن ليتفق مع الصورة التي تخيلتها عنه ليكون هو قاتل

"**بيتي برنارد**" .

وننتقل إلى المراحل التالية بسرعة... لقد ارتكبت جريمة رابعة، وكان المجني عليه في هذه المرة رجلا يدعى "**جورج إيرسفيلد**"... وقد اقترحنا أن القاتل حسبه رجلا يدعى "**داونز**"، على الشكل والحجم نفسه وكان يجلس بجانب المجني عليه في السينما، وهنا تدور أخيراً عجلة الحظ ضد القاتل... وهكذا تنتهي الأمور بمطاردته ثم القبض عليه، وتعتبر القضية - كما قال "**هاستنجز**" - منتهية، وأعتقد أنها بالنسبة إلى الرأي العام، إلى الجميع، منتهية أيضًا؛ لأن القاتل في السجن ينتظر صدور الحكم عليه. ولكن في هذه القضية تظهر ثغرة ضئيلة مزعجة، وهي شهادة المدعو "**سترانج**" عن ليلة وقوع الجريمة الثانية في "**بكسهيل**". وقال "**فرانكلين كلارك**" عندئذ:

- نعم... هذه ثغرة واضحة تحتاج إلى تفكير عميق! فأومأ "**بوارو**" برأسه، وقال:

- تماما يا سيد "**كلارك**"... وهذا التفكير العميق يجعلنا نفترض مثلا أن قاتل "**بيتي برنارد**" ليس السيد "**سوست**" وإنما شخص انتهز فرصة هذه الضجة فارتكب هذه الجريمة، وهو مطمئن إلى أنها ستضيع بين سلسلة الجرائم الأخرى التي يرتكبها مجرم "**أ. ب. س**".

هذه نظرية معقولة وتؤيدها السوابق التي حدثت في جرائم "**جاك السفاح**".. ذلك أن كثيرا من المجرمين انتهزوا الفرصة وراحوا يقتلون بطريقة "**جاك السفاح**" ليلقوا تبعة هذه الجرائم عليه، ويزيد من تأييد هذه النظرية أن الرجل الذي استطاع أن يجتذب "**بيتي**" إليه ثم يقتلها،

لابد أن يكون رجلا جذابا له طريقته الخاصة مع النساء، وهذه الصفات غير متوافرة في السيد "**سوست**" ولكن يمكن أن نهدم هذه النظرية من أساسها بقولنا إن جريمة "**أندوفر**" – أي مقتل السيدة "**آسكر**" – كانت تبدو للرأي العام جريمة عادية لا تدل على أنها الأولى في سلسلة من الجرائم؛ لأننا لم نذكر للصحف أية تفاصيل عن رسائل القاتل إليّ؛ أو عن وجود دليل السكة الحديد بجانب الجثة، ومعنى هذا أن قاتل "**بيتي برنارد**" لم يكن يعلم أن هناك سلسلة من الجرائم في طريقها إلى الحدوث، وهنا وجدت نفسي أمام عقدة لا أعرف لها حلا... ولكنني في الوقت نفسه، كنت أشعر أن هناك شيئا خطيرا في الرسائل التي كانت تصلني، كنت أشعر نحوها بشعور الخبير الفني أمام لوحة مزيفة... إنه يشعر بخبرته وعقله الباطن أنها مزيفة، ولكنه لا يدري لماذا؟ ومن ثم عدت أفحص هذه الرسائل وأعيد قراءتها، حتى أدركت أخيرا سر شعوري الغامض نحوها، والآن نفكر مليا في الأمر... ما الهدف من كتابة هذه الرسائل؟ الهدف هو تركيز الانتباه في كاتبها، لتركيز الأنظار في الجرائم!

وبدا لي أن تركيز الانتباه في المجرم والجرائم لا معنى له... وفجأة وضح الأمر أمامي، وضح لي أن الغرض هو تركيز الانتباه في عدد من الجرائم... في مجموعة من الجرائم. ألم يكن "**شكسبير**" هو القائل «إنك لا تستطيع أن ترى شجرة في وسط غابة أشجار»؟ وهذا يعني أن الإنسان لا يرى دبوسا معينا بين مجموعة دبابيس، ولكنه يراه إذا كان مفردا، وهذا أيضا يعني أن الجريمة الواحدة تكون مكشوفة ، والدافع إليها يبدو واضحا، أما إذا كانت

بين مجموعة من الجرائم التي لا يعرف أحد لها حافزا أو باعثا معينا فإنها تتوه أو تضيع بينها! ووجدت نفسي أواجه مجرما خارق الذكاء... مجرما داهية، قاسيا، جريئا، له طبيعة المغامر المحترف، وهذه الصفات كلها لا تنطبق على السيد "**سوست**" بأي حال من الأحوال.. إنه باختصار ليس الرجل الذي يرتكب كل هذه الجرائم بمثل هذا الإحكام، أما المجرم الحقيقي فهو رجل مختلف تماما... رجل له مزاج صبياني يدل عليه الترتيب الهجائي ودليل السكة الحديد، رجل جذاب للنساء، ولا يهتم كثيرا بالنفس الإنسانية، وله مصلحة خاصة أكيدة في جريمة من هذه الجرائم. إذا وقعت جريمة ما، فماذا يخطر ببال المحققين لأول وهلة؟ إنه البحث عن الدافع إلى القتل، ومعرفة أين كان الذين يدور حولهم الاشتباه، ومن هم الذين سينتفعون من وراء ارتكاب هذه الجريمة، فإذا كان الدافع إلى القتل واضحا جدًّا، فإن المشتبه في أمره عندئذ - أي المجرم الحقيقي - يبذل قصارى جهده ليقيم الدليل على أنه كان بعيدا عن مسرح الجريمة عند وقوعها، ولكن هذا الجهد كثيرا ما ينكشف أمره، وكثيرا ما يكشف التحقيق بطلان الأدلة التي يمكن أن يسوقها المجرم لإثبات براءته، ولهذا كله رأى مجرمنا أن يحصن نفسه بسد منيع من الأدلة، ففكر في هذه السلسلة من الجرائم التي تبدو في أنظار الجميع أنها جرائم مجنون تطغى عليه شهوة القتل!

وما عليَّ الآن إلا أن أستعرض هذه الجرائم المختلفة؛ لأهتدي من ورائها إلى الأشخاص الذين يمكن أن يدور الاشتباه حولهم، ثم أحاول أن أركز الاتهام كله في شخص واحد بينهم يكون هو صاحب مصلحة أساسية في ارتكاب

جريمة منها، ثم ارتكب الجرائم الباقية لتضييع الجريمة الأصلية بينها، ولنبدأ بجريمة "**أندوفر**"! إن أول شخص يمكن أن نشتبه فيه هو "**فرانك آسكر**" زوج المجني عليها، ولكن شخصية "**آسكر**" لا تدل إطلاقا على أن في مقدوره تدبير وتنفيذ هذه السلسلة من الجرائم، فلننتقل إذن إلى جريمة "**بكسهيل**"، والاشتباه فيها يدور حول السيد "**دونالد فريزر**"... إنه شاب ذكي له عقلية رصينة مدبرة، يمكن أن تضع خطة محكمة لمثل هذه السلسلة من الجرائم، ولكنني عرفت أنه نال إجازته السنوية في الأسبوعين الأولين من شهر آب (أغسطس)، وهذا لا يتيح له إطلاقا أن يرتكب الجريمة الأولى، أو الجريمة الثالثة في "**سيرستون**"، ثم لماذا يرتكب جريمة "**بكسهيل**"... بدافع الغيرة؟ إنه مبرر ضعيف لأسباب كثيرة، إذ لم يثبت بصفة قاطعة أن "**بيتي**" أمعنت في خيانته إمعانا يدفعه إلى قتلها، ثم إنها لم تكن زوجته... وحتى لو كانت كذلك، لما ارتكب هذه السلسلة الرهيبة من الجرائم لمجرد الانتقام من فتاة يمكن أن يفترق عنها بسهولة كما يفترق أي خطيب عن خطيبته، لا... إن الغيرة في هذه الحالة لا تبرر إطلاقا ارتكاب هذه السلسلة من الجرائم.

ومن ثم ننتقل إلى الجريمة الثالثة... وهنا نجد أنفسنا واقفين على أرض من الحقائق الواضحة، والمبررات القوية... فقد كان السيد "**سيرميكال كلارك**" رجلا واسع الثراء... فمن الذي يرث هذه الثروة الطائلة بعد وفاته؟ زوجته التي من حقها أن تستمتع بالثروة في أثناء حياتها ثم تنتقل بعد ذلك إلى أخيه "**فرانكلين كلارك**"؟ كلنا نعرف أن الزوجة في حالة احتضار بطيء الآن. واستدار "**بوارو**" ببطء حتى تلاقت نظراته بنظرات

"**فرانكلين كلارك**" ، ثم استطرد قائلا:

- كنت واثقا عندئذ بأن ذلك الشخص الذي طالما فكرت فيه على أنه صاحب رسائل "**أ. ب. س**" ليس أحدا سوى "**فرانكلين كلارك**"... إنه الشخصية المغامرة التي طافت كثيرا خارج البلاد، وأنه يتمتع بجاذبية خاصة للنساء تجعل في مقدوره أن يتعرف بسهولة إلى أية فتاة جميلة في مقهى مثل "**الجنجركات**" ، وأن يتواعد معها على اللقاء سرا، إنه الشخصية ذات العقلية الصبيانية، كما قالت السيدة "**كلارك**" ، الذي يميل إلى قراءة كتب المغامرات مثل كتاب "**أطفال السكة الحديد**" للكاتب "**نيسبيت**" ، كما ذكر لي هو نفسه أنه كان يقرؤه للمرة الثانية... نعم، إن كل الصفات المتوافرة في كاتب تلك الرسالة كانت تنطبق تماما على "**فرانكلين كلارك**"

وضحك "**فرانكلين**" عاليا، وقال:

- حقًّا إنك لنابغة يا سيد "**بوارو**" ! وماذا عن صاحبنا "**سوست**" الذي قبض عليه ودماء المجني عليه في الجريمة الرابعة على كم معطفه، وعن السكين التي وجدت في مسكنه؟ إنه قد ينكر الجرائم الثلاث الأولى، ولكن...

- إنك مخطئ في هذا يا سيد "**كلارك**"... لقد اعترف بارتكاب الجرائم كلها!

- ماذا؟! اعترف أتقول اعترف؟!

- نعم؛ إنني ما إن فرغت من حديثي حتى أصبح يعتقد، مجرد اعتقاد أنه هو الجاني.

- ومع ذلك فأنت غير مطمئن؟

– نعم. . . لأني ما إن رأيته حتى أيقنت تماما أن هذا الرجل لا يمكن أن يكون الجاني بأي شكل. . ليست له الجرأة، ولا الأعصاب، ولا التفكير اللازم لتدبير وتنفيذ هذه السلسلة من الجرائم، ولكنني أدركت حين رأيته أنه الشخصية التي اتخذها القاتل ليختفي وراءها، ثم يقدمها في النهاية للعدالة باعتبارها المجرم الحقيقي.

وكأنما لم يكفك يا سيد "**كلارك**" أن ترتكب هذه الجرائم كلها، وإنما أبيت إلا أن تقدم عن نفسك كبش فداء! وأعتقد أن الفكرة نبتت في ذهنك عندما التقيت مصادفة بالسيد "**ألكسندر بونابرت سوست**" في أحد المقاهي، ولعل اسمه العجيب لفت انتباهك، ثم ازداد اهتمامك به حين لمست شخصيته الواهية الضعيفة المسالمة، وكنت في ذلك الحين تستعرض في ذهنك مختلف الوسائل لقتل أخيك.

– أحقًّا. . لماذا؟

– لأنك كنت شديد القلق على المستقبل. . كنت تخشى أن يتزوج أخوك سكرتيرته "**تورا جراي**" بعد وفاة زوجته السيدة "**كلارك**"، وينجب منها وريثا لثروته، ولاسيما وقد كان أخوك محتفظا بقوته وحيويته، وفي هذه الحالة تظل أنت طيلة حياتك شريدا مفلسا. . . وإن خبرتك التي اكتسبتها من رحلاتك في الخارج، ومن علاقاتك بالنساء جعلتك تدرك أن "**تورا جراي**" من النوع الصياد الذي يجري وراء الرجل الثري، وهكذا قررت أن تبادر وتؤمن مستقبلك بالقضاء على أخيك قبل أن تموت زوجته، وقبل أن تسنح له فرصة الزواج بـ"**تورا جراي**".

ولما التقيت بالسيد "**سوست**" وعرفت اسمه الكامل، بدأت فكرة جرائم "**أ. ب. س**" تتبلور في ذهنك، لاسيما حين علمت أنه مصاب بالصرع أيضا، وبنوبات من الصداع المؤلم الذي يجعله - كما قال لك - لا يكاد يشعر بما يقول أو يفعل! واختمرت الفكرة في ذهنك وتبينت كل معالمها، وقررت أن ترتكب سلسلة من الجرائم تضيع بينها جريمة "**سيرستون**"، على أن تكون أسماء الضحايا مطابقة لتسلسل الحروف الأبجدية، وهو التسلسل الذي أوحى به إليك اسم "**ألكسندر بونابرت سوست**"، "**أ. ب. س**" وأن تجعل منه هو كبش الفداء! وكان تدبيرك عجيبا محكما... إذ كتبت باسم "**أ. ب. سوست**" رسالة على آلة كاتبة عندك، تطلب فيها من أحد المصانع كمية من الجوارب والملابس النسائية الداخلية وأعددت كمية من كتب دليل "**أ. ب. س**" للسكة الحديد في لفافة تبدو كأنها لفافة تحتوي على علب جوارب وملابس داخلية نسائية، وكتبت له هو رسالة على الآلة الكاتبة، باسم المصنع، تعرض عليه فيها مرتبا مجزيا وعمولة على البيع، ثم كتبت على الآلة نفسها مجموعة الرسائل التي نويت أن ترسلها إليَّ باسم "**أ. ب. س**"، ثم أرسلت الآلة الكاتبة نفسها إلى "**سوست**" على اعتبار أنها هدية من مصنع الجوارب إليه، وشرعت بعد ذلك تبحث عن ضحايا تبدأ أسماؤهم بالأحرف "**أ. ب. س، د**" على أن يكون كل منهم مقيما في بلدة يطابق الحرف الأول من اسمها الحرف الأول من اسمه، وبدأت ببلدة "**أندوفر**"، ووقع اختيارك على السيدة "**آسكر**" حين قرأت اسمها بوضوح على اللافتة، وحين رأيت

أنها امرأة عجوز وحيدة ويمكن قتلها بسهولة، أما الحرف "**ب**" فقد استلزم منك مناورة غرامية بارعة؛ لكي توقع "**بيتي برنارد**" في حبائلك، ولكي تخرج معها للنزهة في أماكن بعيدة زاعما لها أنك رجل متزوج، ولا تحب أن ينتشر أمر علاقتك بها..! ولما تمت جميع تدبيراتك الأولية، أرسلت إليّ رسائل التحدي، وأرسلت إلى "**سوست**" قبل كل جريمة – باسم المصنع – تعليمات تأمره فيها بالذهاب إلى مسرح الجريمة في يوم وقوعها، بحجة بيع جوارب لسيدات معينات ذكرت له أسماءهن... فمثلا جعلته في صباح يوم ارتكاب جريمة "**أندوفر**" يذهب إلى "**أندوفر**"، ويبيع أو يعرض للبيع جوارب على السيدة "**آسكر**" والسيدة "**فاولر**" جارتها وبعض السكان الآخرين، وكذلك فعلت في كل من جريمتي "**بكسهيل**" و"**سيرستون**" وبالتأكيد كان المسكين يذهب وهو خالي الذهن تماما من الجرائم التي ترتكب باسمه ومن وراء ظهره، وهكذا نجحت في ارتكاب جريمة "**أندوفر**"، وفي ارتكاب جريمة "**بكسهيل**".. ولكنني واثق تماما بأنك قتلت "**بيتي برنارد**" قبل منتصف ليل الرابع والعشرين من تموز (يوليو) على سبيل ضمان النجاح.

وننتقل الآن إلى الجريمة الثالثة المهمة، الأساسية، التي أردت أن تجعلها تضيع بين هذه السلسلة من الجرائم، وهنا أشكر صديقي "**هاستنجز**" الذي كان أول من لفت نظري إلى عنواني الذي كتب خطأ عن عمد على ظرف الرسالة؛ كي يصلني متأخرا، أي بعد وقوع الجريمة، نعم... لقد تعمدت أن تكتب العنوان خطأ حتى تضمن ارتكاب الجريمة الثالثة

الأساسية قبل أن يتدخل رجال المباحث في الأمر، وهذا أيضا يفسر اختيارك لي بالذات لكي تبعث بهذه الرسائل إلي؛ لقد أخبرتني بالذات؛ لأن في مقدورك أن تكتب عنواني خطأ... أما لو اخترت "**اسكتلانديارد**" أو إحدى الصحف، لما أمكنك أن تكتب العنوان خطأ... وحتى لو كتبته، فإن إدارة البريد كانت سترسله فورا إلى العنوان الصحيح. والواقع أن هذا التفكير يدل على عقلية جبارة خارقة الذكاء! وبعد نجاحك في ارتكاب الجريمة الثالثة التي أقامت الدنيا وأقعدتها، رأيت أن تختم سلسلة الجرائم بجريمة رابعة تبعد بها كل اشتباه في أمرك، وتجعلها واضحة المعالم كثيرة الأخطاء بحيث تنتهي بالقبض على كبش الفداء.

وهكذا اخترت "**دوناستر**" مسرحا لها، وحددت يوم الاحتفال بعيد "**سانت ليجير**"، واخترت رجلا، أي رجل، كان في طريقه إلى السينما بعد أن رأيت "**سوست**" بداخلها، وكنت تسير وراءه تتعقبه لتنتهز أول فرصة سانحة ترتكب فيها جريمتك وتلقي بعبئها عليه، وساعدك الحظ، ودخلت على مقربة من "**سوست**"، ونهضت قبل نهاية العرض، وسرت في طريق الخروج، ثم تظاهرت بأنك تتعثر، وبأن قبعتك وقعت على مقعد أمامي وفي أثناء استردادك لها طعنت الرجل الجالس بجوارها بالسكين في القلب تماما، ولم يكن يهمك أن يكون اسمه يبدأ بالحرف "**د**"؛ لأنك كنت تعتقد أنه لابد أن يكون بين المتفرجين رجل يبدأ اسمه بهذا الحرف فيظن الناس أنه كان هو المقصود، ولكن المجرم أخطأه.

وأيًّا كان فقد كان هدفك الأساسي هو أن ينكشف أمر الجريمة الرابعة وأن

تثبت على السيد "**سوست**"، ولهذا تعمدت أن تصطدم به عند الخروج من السينما، حين انتهزت فرصة عدم الإضاءة الكاملة والزحام والاصطدام به من الخلف فمسحت نصل السكين أو جانبا منها في كم معطفه، ثم أسقطتها في جيب المعطف.

ويمكننا أن نتصور حالة المسكين "**سوست**" حين يعود إلى غرفته بالفندق فيجد الدماء على كمه، والسكين في جيبه، ثم حين يربط بين هذا كله وبين ما يقرؤه عن سلسلة الجرائم التي يرتكبها رجل يدعى "**أ. ب. س**"، وحين يتذكر أنه كان موجودا في مسرح كل جريمة في يوم وقوعها لا شك أن الأمور اختلطت في عقله وخامره الشك في نفسه وفي أنه ربما يكون قد ارتكب هذه الجرائم على غير شعور منه. إن المسكين يخرج من غرفته، من مسكن السيدة "**ماربري**" في لحظة يأس ويمضي شاردا، بلا مال أو هدف، ولكن. إلى أين؟ إن قدميه تقودانه بغير وعي وعندما يعود يقبض عليه، ولما اعترف لي في لحظة يأس واستسلام لمصيره بأنه ارتكب هذه الجرائم، ازددت أنا يقينا من نظريتي. وهنا قال "**فرانكلين كلارك**":

– إن نظريتك هذه غريبة شاذة!

– لا يا سيد "**كلارك**"! لقد كنت آمنا على نفسك لعدم وجود أدلة... أما الآن فقد توافرت الأدلة على اتهامك!

– أدلة؟

– نعم، لقد عثرنا على العصا التي استعملت في جريمتي "**أندوفر**" و"**سيرستون**"، وهي عصا عادية الشكل، ولكن طرفها الأعلى مفرغ ومصبوب فيه رصاص، عثرنا عليها في خزانة قديمة بقصر أخيك في بلدة

" **سيرستون** " وتعرَّف صورتك ثلاثة من الذين كانوا في السينما، وقالوا إنك كنت أحد الخارجين منها بعد انتهاء عرض الفيلم الذي وقعت في أثنائه الجريمة الرابعة وتعرَّفت صورتك " **ميللي هيجلي** " ، وفتاة أخرى تدعى " **سكارليت** " ، وزائر في مشرب " **رود هاوس** " الذي جلست فيه مع " **بيتي برنارد** " ، في ليلة وقوع الجريمة.

وأخيرا، وهذا هو الأهم عثرنا على بصمة من بصمات أصابعك على الآلة الكاتبة التي وجدناها في غرفة السيد " **سوست** " .. فلو أنك كنت بريئا، لما كان لك أي شأن بها! وساد الصمت هنيهة، وفجأة قال " **فرانكلين كلارك** " :

– إني لست آسفا على ما فعلت... لقد كنت أريد أن أضمن مستقبلي، ثم دس يده في جيبه، وأخرج مسدسا صغيرا، وضعه على جانب رأسه... ولكن " **بوارو** " كان له بالمرصاد، فضربه على يده، وألقى بالمسدس بعيدا! ودخل في تلك اللحظة اثنان من رجال " **اسكتلانديارد** " ، كانا في الغرفة المجاورة.. وألقيا القبض على " **فرانكلين كلارك** " . والتفت " **بوارو** " نحوي باسما، وقال:

– لقد خانه الذكاء أخيرا؛ لأن الحقيقة أننا لم نجد آثار بصمات أصابعه على الآلة الكاتبة، ولكنها حيلة قديمة أوقعته بها في فخ الاعتراف! ونهضت " **تورا جراي** " شاحبة الوجه لتنصرف، فقال لها " **بوارو** " :

– إني آسف يا آنسة " **جراي** " ، لقد طار العصفوران من يدك! واندفعت إلى باب الخروج دون أن تجيب من فرط الغضب!

– أما أنت يا آنسة "**ماري دراور**"، فأرجو أن تتأكدي من أن صاحبك يبادلك الحب قبل أن تتمادي في علاقتك به. ثم ابتسم وأردف قائلاً للشاب "**دونالد فريزر**" حين رآه ينهض ممسكا بـ"**بيلاميجان برنارد**":

– لا تخجل يا سيد "**فريزر**" من مصارحة "**ميجان**" بحقيقة مشاعرك فالواقع أنها تبادلك الحب، لكن مأساة "**بيتي**" تقف عقبة في سبيلكما. تذكر دائما أن الحياة أقوى من الموت، وأن الحب أجمل ما في الحياة. ثم قال لي بعد انصراف الجميع:

– أما السيد "**سوست**" المسكين فيجب أن أعرضه على طبيب عيون؛ لكي يصنع له نظارة جديدة؛ لأنني أعتقد أن صداعه المؤلم ناشئ عن سوء حالة نظارته الطبية!

تمّت بعون الله

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها...

سارع في إرسال طلبك !

اقطع الكوبون ادناه، وضع علامة ☒ على رقم الروايات التي تريدها، وأرسله مع الشيك

على اي مصرف (بنك) في "لبنان" بالبريد المسجل (المضمون) على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص.ب 374 - جونيه – لبنان

ملاحظة : جميع الحوالات والشيكات باسم : **Dar Music**

وأن يكتب على الشيك عبارة "يصرف للمستفيد الأول فقط"

10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
20	19	18	17	16	15	14	13	12	11
30	29	28	27	26	25	24	23	22	21
40	39	38	37	36	35	34	33	32	31
50	49	48	47	46	45	44	43	42	41
60	59	58	57	56	55	54	53	52	51
70	69	68	67	66	65	64	63	62	61
80	79	78	77	76	75	74	73	72	71
90	89	88	87	86	85	84	83	82	81
100	99	98	97	96	95	94	93	92	91

الاســـم :

العـنـوان :

ص .ب : المـديـنـة : الرمـز البـريدي :

الـدولـة :

مـرسـل طيـه شـيـك بمبلغ : دولار أمـــريكي .